لغةُ المُصْطلحِ الإسْلاميّ

الأُصولُ وَالفُروع

Language of Islamic Discourse

Roots and Branches

أ.م.د. عليّ حُلو حَوّاس

جامعة بغداد

كلية التربية للعلوم الإنسانية – ابن رشد

قسم اللغة العربية

Asst. Prof. Dr. Ali H. Hawwas

Department of Arabic

Ibn Rush College of Education

for Humanist Sciences

University of Baghdad

hilohawas@yahoo.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

ملخص البحث

يفتح هذا البحثِ بابًا لدراسةِ المُصْطَلَح الإسلاميِّ،بقسمَيه المُرْتَجَل الذي ارتبطَ استعمالُهُ بمجيءِ الإسلام، أو الذي اسْتُعْمِلَ في لُغَةِ العرب ثُمَّ اكتسبَ في الاستعمالِ الإسلاميِّ معنًى جديدًا. وتحديدِ أُصُولِ هذه المُصطلحاتِ، وبيانِ ما آلتْ إليه الفُرُوعُ، وتعرُّف أحوالِها في الانتقالِ مِنَ المعنى اللُّغويِّ إلى المعنى الشَّرْعِيِّ الاصْطِلاحيِّ، والعَلاقات المَجَازِيَّة التي يخضعُ لها هذا الانتقال.

ABSTRACT

The current research paper paves the way to studying the Islamic discourse in its two sections; the improvising one pertinent to its use as the Islam surges into light or the other one employed in the Arabic language and then it takes soul of the Islamic use to have a new shade of meaning. The study focuses upon the origins of such terms, the state of these two sections in transforming from the linguistic content to the etymological legislative one and the figurative bonds the transformation acts obey.

... المقدّمة ...

يتناولُ هذا البحثُ قضيةَ التَّأصيلِ المُصطلحيِّ في المُدَوَّناتِ اللُّغويَّةِ، ويهتمُّ بما هو إسلاميٌّ، سواءٌ أكان مُصطلحًا مُرتَجَلاً، تزامن ظهورُهُ مع الإسلام، ولم يكنْ معروفًا مِنْ قَبْلُ، أي أنَّه مُصْطَلَحٌ جديدٌ لفظًا ودلالةً، أمْ كانَ جديدًا في دلالتِهِ دون لفظِهِ، أي أنَّه معروفٌ في العُصُورِ التي سَبَقَتِ الإسلامَ، ولكنَّ دلالتَهُ الحقيقيَّةَ قد تُنُوْسِيَتْ وأَكْسَبَهُ الحقلُ الدِّينيُّ دلالةً جديدةً من طريقِ العَلاقاتِ المجازيَّةِ بينَ المعنَيَين.

وقد قيَّدنَا المُصطلحَ الإسلاميَّ بعبارة «الأُصول والفُرُوع» لإماطةِ اللِّثام عن الأصلِ اللُّغويِّ الذي تطوَّر عنه هذا المُصْطَلَحُ والكيفيَّة التي انتقلَ بها فصارتْ دلالتُهُ فرعًا عَنِ الدّلالةِ الأصليَّةِ، فكانتْ جُلُّ مصادرِ هذا البحثِ هي كُتُبَ المُعجماتِ والمُصطلحات. وستُحاولُ هذه الدِّراسةُ مُلاحَقَةَ المُصْطَلَحِ الإسلاميِّ بنوعيه، والأُسُسِ التي اسْتُنِدَ إليها في استحداثِ ما هو مُرْتَجَلٌ، أو إكسابِ المُسْتَعْمَلِ منه دلالةً جديدةً تنسجمُ مع المنظورِ الدِّينيِّ.

بين الاصطلاح والمصطلح

اشْتُقَّ هذانِ اللَّفظانِ مِنَ الجذرِ اللُّغويِّ «صلح»، وهما مُتَرَادفانِ على معنًى واحدٍ، فالمُصْطَلَحُ يصلحُ أنْ يكونَ اسمَ مفعولٍ من الفعل المبنيِّ للمجهولِ «اُصْطُلِح»، أو مصدرًا ميميًّا للفعلِ المبنيِّ للمعلوم «اصْطَلَحَ».

وقد حَصَلَ خلافٌ في استعمالِ هذين اللَّفظينِ، فذهب بعضُهُم إلى منعِ استعمالِ لفظِ «المُصْطَلح»؛ بدعوى أنَّه يُخالفُ قواعدَ العربيَّةِ في صياغةِ اسمِ المفعولِ، فهو

مأخوذٌ من فعلٍ لازم، ولا بدَّ أنْ يُذْكَرَ الجارُّ والمجرورُ، وعلى هذا ينبغي أنْ تقولَ: «مُصْطَلَحٌ عليه». ولكنَّ هذه الدَّعوى لا تصمدُ أمامَ النَّقدِ؛إذ إنَّ العربيةَ لغةُ الإيجازِ والاختصارِ، فيجوزُ حذفُ اللَّفظِ إذا دلَّ عليه دليلٌ، وهذا ما حَصَلَ في لفظِ «مُصْطَلَح». يزادُ على ذلك أنَّ هذا اللَّفظَ يمكنُ أنْ يكونَ مصدرًا ميميًّا كما ذكرنا، فلا مُخَالفةَ في ذلك.

ويُلحَظُ أنَّنا نلمسُ ترادفًا في استعمالِ لفظَي «مُصْطَلَح» و «اصْطِلاح»، في المُعجماتِ اللُّغويةِ ومعجماتِ المُصطلحات، وقد آثرَ أكثرُها لفظَ «اصْطِلاح»، وقلَّما نجدُ تعريفًا للفظِ «مُصْطَلَح»، فقد وَرَدَ عندَ الجاحظِ، في معرضِ حديثِهِ عَنْ لُغَةِ المُتكلِّمينَ، بقولِهِ: «اصْطَلَحُوا على تسميةِ ما لم يَكُنْ له في لُغَةِ العَرَبِ اسمٌ»[١]، وذكَرَه الخوارزميُّ في سببِ تأليفِهِ كتابَ «مفاتيح العلوم»، بقولِهِ: «دَعَتْني نَفْسي إلى تصنيفِ كتابٍ..يكونُ جَامِعًا لمفاتيحِ العُلُومِ، وأوائلِ الصِّناعاتِ، مُتَضمِّنًا ما بينَ كُلِّ طبقةٍ مِنَ العُلَماءِ مِنَ المُواضعاتِ والاصْطِلاحَاتِ».[٢]

أما التهانويّ فلم يُفرِّقْ بينهما في الاستعمال، وجعلهما مُترادَفين، إذ استعملَ لفظَ «اصْطِلاح» في عنوان كتابِهِ «كشَّاف اصطلاحات الفنون»، وبيَّن في مقدّمتهِ أنَّه إنَّما رَغِبَ في تجليةِ الألفاظِ الفنيَّةِ لِمَا لحظه من «اشتباهِ الاصطلاحاتِ، فإنَّ لكلِّ علمٍ اصطلاحًا خاصًّا به إذا لم يُعْلَم بذلك لا يتيسَّرُ للشَّارعِ فيه الاهتداءُ إليه سبيلاً، وإلى انغمامه دليلاً»[٣]. ثم يعودُ بعد سطورٍ لِيَذكرَ أنَّه توجَّه إلى ذخائرِ الحكمةِ الفلسفيَّةِ والرياضيَّةِ كالحسابِ والهندسةِ وغيرها «فاقتبست منها المصطلحات أوان المطالعة وسطَّرتها على حدةٍ، في كلِّ بابٍ بابٌ يليقُ بها على ترتيبِ حُرُوفِ التَّهجي كي يسهلَ استخراجُها لكلِّ أحدٍ»[٤]. وورِدَ في كُتبِ اللُّغةِ والنَّحوِ تَحْتَ عبارةِ «اصْطِلاح النَّحويِّين»، و «اصْطِلاح اللُّغويِّين».[٥]

وقد ذكرتِ المُعجماتُ اللُّغويَّةُ القديمةُ الأصلَ الذي اشْتُقَّ منه الاصْطِلاحُ والمُصْطَلَحُ وما يدورُ عليه من المعاني. ومَنْ يقرأْ في المعجمِ العربيِّ يجدْ أنَّ الفعلَ «اصْطَلَحَ» يدلُّ على الصُّلْحِ والاتِّفاق، قال صاحب اللِّسان: «تَصالحَ القومُ بينهم. والصُّلْحُ: السِّلْمُ، وقد اصْطَلَحُوا وصَالَحُوا وأَصْلَحُوا وتَصالَحُوا واصّالَحُوا، مُشدّدة الصَّاد، قلبوا التَّاءَ صادًا وأدغموها في الصَّادِ بمعنًى واحدٍ»[٦].

أمَّا لفظَا «المُصْطَلَح» و «الاصْطِلاح» فلم تُشِرْ إليهما المعجماتُ اللُّغويَّةُ القديمةُ، إذِ استدركَ الزَّبيديُّ -نقلاً عَنِ الخفاجيِّ- لفظَ «اصْطِلاح»، بقولِهِ: «وممَّا يُسْتَدْرَكُ عَلَيه... الاصْطِلاحُ: اتِّفَاقُ طَائفَةٍ مَخْصَوصَةٍ على أَمْرٍ مَخْصَوصٍ»[٧]. ولعلَّ معنى الاتِّفاق الذي أشار إليه الزَّبيديُّ مأخوذٌ من معنى السِّلْمِ الواردِ في تفسيرِ لفظِ «الصُّلْح». وتفسيرُ عدمِ إشارةِ المُعجماتِ القديمةِ إلى لفظَي «مُصْطَلَح» و «اصْطِلَاح» أنَّه «مِنَ المعروفِ في ضوابطِ القَواميسِ العربيَّةِ وقواعدِها المُقَرَّرة، ولا سيَّما القديمةِ منها، عدمُ إيرادِ صِيَغِ المُشتقَّاتِ المُطّردةِ وكلّ الكلماتِ التي يُمكنُ توليدُها بآليةٍ قياسيَّةٍ وبقواعدَ صرفيَّةٍ معروفةٍ إلاّ في الحالاتِ الشَّاذةِ أو عندَ الضَّرورةِ والاقتضاءِ... ولو عَمِلَتْ هذه القواميسُ على إيرادِ كُلِّ المُشتقَّاتِ والصِّيَغِ القياسيَّةِ مِنْ كُلِّ مادَّةٍ مُعجميَّةٍ لأصبحَ حجمُها أضعافًا مُضَاعَفةً لما هي عليه الآن. ولذلك نرى أنَّ القواميسَ العربيَّةَ تستغني عن ذِكْرِ أسماءِ الفاعلينَ والمفعولينَ القياسيَّةِ... وعن ذِكْرِ كثيرٍ من أسماءِ الزَّمانِ والمكانِ والآلةِ والمَرَّةِ والهيئةِ والنِّسبةِ والتَّصغيرِ والمَصادرِ القياسيَّةِ»[٨].

ولم يُفَرِّقِ ابنُ فارس بينَ لفظَي (مُصْطَلَح) و (اصْطِلَاح)، قال في باب (القول على لُغةِ العربِ أَتوقيفٌ أَم اصطلاحٌ؟) عندما أَشَارَ إلى أنَّ بعضَ أوصافِ السَّيفِ توقيفٌ: «حتَّى لا يكون شيءٌ منه مُصْطَلَحًا عليه»[٩]. ثُمَّ قال: «ولو كانتِ اللُّغةُ

العميد مجلة فصلية محكمة

مُوَاضَعَةً واصطلاحًا لم يَكُنْ أولئك في الاحتجاج بهم بأَوْلَى مِنَّا في الاحتجاج بِنَا لو اصْطَلَحْنَا على لغةِ اليوم ولا فَرْقَ»(١٠). ومن أدلَّتِه الأُخرى التي ساقها على إثباتِ أنَّ اللُّغةَ توقيفٌ قوله: «أنَّه لم يبلغْنا أنَّ قومًا من العَرَبِ في زمانٍ يُقاربُ زمانَنا أجمعوا على تسميةِ شيءٍ من الأشياءِ مُصْطَلِحينَ عليه. فكُنَّا نستدلُّ بذلك على اصطلاحٍ قد كان قبلهم. وقد كان في الصَّحابةِ مِنَ النَّظرِ في العلومِ الشَّريفةِ ما لا خفاءَ به، وما علمناهُم اصطلحوا على اختراعِ لُغةٍ، أو إحداثِ لفظةٍ لم تتقدَّمهم»(١١).

ويبدو أنَّ ابنَ فارس استعملَ مِنْ مشتقَّاتِ مادَّةِ «صلح» الفعلَ الماضي، والمصدرَ، واسمَ الفاعل، واسمَ المفعول، بلا فرقٍ في الاستعمال، فكلُّها صُوَرٌ اشتقاقيَّةٌ اسْتُعْمِلَتْ في معانيها الاشتقاقيَّةِ من غير أنْ يقصد إلى التَّعبيرِ عن مثلِ ما يُستفادُ من كلمة (Term).

وقد عَرَّفَ الجرجانيُّ الاصطلاح بأنَّه «عبارةٌ عن تسميةِ الشَّيءِ باسم ما يُنقَلُ عن موضعِهِ الأوَّل»(١٢). وعرَّفه الكفويُّ بأنَّه «إخراجُ الشَّيءِ من معناه اللُّغويِّ إلى معنًى آخر لبيانِ المُرَاد»(١٣). وعرَّفه التهانويُّ بأنَّه «العُرْفُ الخاصُّ»(١٤). وفي هذه التَّعريفاتِ بيانٌ لعمليَّةِ وَضْعِ المُصْطَلَح، وتتمثَّلُ في تحويلِ اللَّفظِ الذي كانَ يدلُّ على معنًى عامٍّ إلى لفظٍ يدلُّ على معنًى خاصٍّ بشرطِ وجودِ رابطٍ بين المعنيين.

ولم تبتعدِ المُعجماتُ الحديثةُ عَنِ المُعجماتِ القديمةِ، فلم تذكرْ لفظَ «مُصْطَلَح» واقتصرتْ على «اصْطِلَاح»، جاء في المُعجم الوسيط: «الاصْطِلاحُ مصدرُ اصْطَلَحَ، واتِّفاقُ طائفةٍ على شيءٍ مخصوص، ولكلِّ علمٍ اصطلاحاتُهُ»(١٥). وقال البستانيّ: «اللَّفظُ الاصطلاحيُّ: ما يتعلَّقُ بالاصْطِلَاح، ويقابلهُ اللُّغويُّ»(١٦). أمَّا مصطفى الشهابيّ فقد ذكرَهما معًا بقوله: «لفظٌ اتَّفقَ العلماءُ على اتِّخاذِهِ للتَّعبيرِ عن معنًى مِنَ المعاني العلميَّة... والاصْطِلاح يجعلُ، إذن، للألفاظِ مدلولاتٍ جديدةً غير

مدلولاتِها اللُّغويةِ أو الأصليَّةِ... والمُصطلحاتُ لا تُوْجَدُ ارتجالاً ولا بُدَّ في كلِّ مُصْطَلَحٍ مِنْ وُجودِ مُناسبةٍ أو مُشاركةٍ أو مُشابهةٍ كبيرةً كانتْ أو صغيرةً بين مدلولهِ اللُّغويِّ ومدلولِه الاصطلاحي»(١٧).

ويُعلِّلُ عبد الصبور شاهين سببَ هذا التَّرادفِ بقوله: «إنَّ لهذه المسألة تفصيلاً نتصوَّرُهُ من وجهةِ نظرِنا؛لأنَّ أحدًا لم يطرحْ أيَّ سؤالٍ عن السَّببِ في أنَّ معاجم اللُّغةِ قد تجنَّبتْ تعريفَ كلمةِ (مُصْطَلَح)، مع أنَّ مفهومَ كُلٍّ منهما يختلفُ عن مفهوم الأُخرى في لغتنا المعاصرة، فنحن نتذوَّقُ في استعمالِنا لكلمةِ (اصطلاح) معناها المصدريَّ، الذي يعني الاتِّفاقَ والمُواضعةَ والتَّعارف، ونقصدُ في استعمالِنا لكلمة (مُصْطَلَح) معناها الاسميَّ الذي يترجم كلمة (Term) الانجليزية، ولذلك لا نجدُ بأسًا في أنْ نقولَ: (إنَّ اصطلاحَنا على مُصْطَلَحٍ ما ضرورةٌ في البحث)، وهو أولى وأفضلُ من أنْ نقولَ: (إنَّ اصطلاحَنا على اصْطِلاحٍ) بهذا التَّكرارِ الركيك»(١٨).

إنَّ النُّقطةَ الجوهريَّةَ في تعريفِ «المُصْطَلَح» هي الاتِّفاقُ بينَ طائفةٍ مُعَيَّنةٍ على أَمْرٍ مُعيَّنٍ، غيرَ أنَّ عبد الصّبور شاهين اعترضَ على هذا التَّحديدِ، بقولِهِ: «إنَّ القُرْآنَ الكريمَ قد جَاءَ بكثيرٍ مِنَ الألفاظِ التي يُمْكِنُ أَنْ تُعدَّ مِنْ قبيلِ الاصطلاحاتِ، كالصَّلاة والصِّيام والزَّكاة إلى غيرِ ذلكَ مِنَ الألفاظِ القُرْآنيَّةِ، التي هي قَطْعًا مِنَ الاصطلاحاتِ، ولا يُمْكِنُ القَوْلُ بأنَّ معناهَا الاصطلاحيَّ ناشئٌ عَنِ اتِّفاقِ طائفةٍ مُعَيَّنةٍ بشأنِهِ، فقد أَنْزَلَها الله سبحانَه بمعناها الخاصِّ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوات»(١٩).
وانتهى إلى تعريفٍ عدَّه شَامِلاً، بقولِهِ: «هو في نَظَرِنَا اللَّفْظُ أو الرَّمزُ اللُّغويُّ، الذي يُسْتَخْدَمُ للدّلالةِ على مفهوم علميٍّ أو عمليٍّ أو فنيٍّ، أو أيِّ موضوع ذي طبيعة خاصَّةٍ. وهذا التَّعريفُ يَضَعُ في حِسْبانِهِ أنَّ المصطلحَ قد يكونُ لفظًا، وقد يكونُ رمزًا لُغَويًّا، فعبارةُ «رَأْس مال» مُصطلحٌ مُركَّبٌ ذو دلالةٍ اقتصاديَّةٍ، وكلمة «تحليل»

مُصطلحٌ ذو دلالةٍ علميَّةٍ عامَّةٍ والرَّمْزُ «كت» مُصطلحٌ يدلُّ على العنصرِ المُسمَّى «اكتنيوم»».[٢٠] وهو تعريفٌ سديدٌ؛لأنَّه تخلَّصَ مِنْ شَرْطِ الاتِّفاقِ والمُواضَعَةِ، الذي أَشَارَ إليه التَّعريف الأوَّلُ، إذْ هو ليسَ مُتَحقِّقًا في جميعِ الاستعمالاتِ، كما بيَّنا آنفًا.

ويرى عليّ القاسميّ أنَّ عِلْمَ المُصْطَلَح هو العلمُ الذي يبحثُ في العلاقةِ بين المفاهيم العلميَّةِ والمُصطحاتِ اللُّغويَّةِ التي تُعبِّرُ عنها. وهو عِلْمٌ مُشتركٌ بين عُلُوم اللُّغةِ والمنطقِ والإعلاميَّة وحقولِ التَّخصُّصِ العلميِّ. وهو يتناولُ جوانبَ ثلاثةً مُتَّصلةً من البحثِ العلميِّ والدِّراسةِ الموضوعيَّةِ، وهي:

١. **أولا**: يبحثُ عِلْمُ المُصطلحاتِ في العَلاقاتِ بينَ المفاهيم المُتَداخِلَةِ (الجِنْس – النَّوْع – الكُلّ – الجُزء)، التي تُمَثِّلُ في صورةِ أنظمةِ المفاهيم التي تُشَكِّلُ الأساسَ في وضع المُصطحاتِ المُصَنَّفةِ التي تُعَبِّرُ عنها في عِلْمٍ مِنَ العلوم.

٢. **ثانيا**: يبحثُ عِلْمُ المُصطلحاتِ في المُصْطَلحاتِ اللُّغويَّة، والعَلاقاتِ القائمة بينها، ووسائلِ وَضْعِها، وأنظمةِ تمثيلها في بنيةِ عِلْمٍ مِنَ العلوم، وبهذا يكونُ عِلْمُ المُصطلحاتِ فرعًا خاصًّا من فروعِ عِلْمِ الألفاظِ أو المفردات Lexicology وعلم تطوّر دلالاتِ الألفاظ Semasiology.

٣. **ثالثا**: البحثُ في الطُّرقِ العامَّةِ المؤدّيةِ إلى خَلْقِ اللُّغةِ العمليَّةِ والتَّقنيَّة بصرفِ النَّظرِ عن التَّطبيقاتِ العمليَّةِ في لغةٍ طبيعيةٍ بذاتها.ويُصبحُ عِلْمُ المُصطلحاتِ بذلك علمًا مُشتركًا بين علوم اللُّغةِ والمنطقِ والوُجودِ والإعلامياتِ والموضوعاتِ المُتخصّصةِ وكذلك علم المعرفة Epistemology والتَّصنيف. فكُلُّ هذه العلوم تتناولُ في جانبٍ من جوانبها التنظيمَ الشكليَّ للعلاقةِ بين المفهومِ والمُصْطَلح[٢١].

نشأة الحركة الاصطلاحية

إذا لم يكنْ هناك بُدٌّ من تحديدِ زمنٍ معيَّنٍ لنشأةِ الحركةِ الاصطلاحيَّةِ في اللُّغةِ العربيَّةِ، فلا شكَّ في أنَّ نزولَ القرآنِ الكريم، الذي شغلَ اهتمامَ العَرَبِ لفهمِ آياتهِ وتدبُّرِ معانيه والوقوفِ على دلالاتِهِ، كانَ البذرةَ الأولى للاهتمامِ باللُّغةِ الاصطلاحيَّةِ، لمواكبةِ التّغيُّراتِ الدّينيةِ والاجتماعيةِ والاقتصاديةِ والسياسيةِ، فشملت هذه الاصطلاحاتُ الحضارةَ والعلومَ والفنونَ واللُّغةَ والأدبَ والفقه والتفسيرَ والحديثَ وغيرها. «إذْ نقلَ القرآنُ الكريمُ لغةَ العربِ من مجالِ التَّعبيرِ عن معاني الصَّحراءِ والحياةِ البدويَّةِ التي كان يحياها العربُ قبلَ الإسلام، إلى مجال أرحبَ وأوسعَ، فأكسبَ الألفاظَ الأصليَّةَ معانيَ جديدةً، وفتحَ بابَ التَّوسُّعِ الدّلاليِّ للألفاظ، ومن ذلك ألفاظٌ كالصَّلاةِ والزَّكاةِ والصَّومِ»(٢٢).

وكانتِ اللُّغةُ العربيَّةُ عونًا في مُواكبةِ هذه التَّغيُّراتِ، بما حباها اللهُ عزَّ وجلَّ من ظواهرَ لُغويَّةٍ قلَّما نجدُ لها نظيرًا في اللُّغاتِ الأُخرى، كالقياسِ والاشتقاقِ والتَّوليدِ والتَّرجمةِ والتَّعريبِ والنَّحتِ. وكانتْ هذه الوسائلُ سببًا في اتّساعِ العربيَّةِ واستيعابِها للعلومِ والآداب.

وقد أحدثَ نزولُ القرآنِ الكريم ثورةً كبيرةً غيَّرتْ كُلَّ معالمِ الحياةِ الاجتماعيةِ والدّينيَّةِ والاقتصاديَّةِ والسياسيَّةِ السائدةِ في مجتمعِ الجزيرةِ العربيَّةِ، فسنَّ قوانينَ جديدةً تشملُ العَلاقاتِ البشريَّةَ في مُختلفِ أبعادِها الدّينيَّةِ والدّنيويَّةِ، وأرسى نُظُمًا اقتصاديَّةً وسياسيَّةً تتمثَّلُ في المُساواةِ والتَّكافلِ والتَّضامنِ بين الأفرادِ، وتحريم الظّلم، والاحتكار، والرِّبا وغيرها من الرَّذائل. ولقد واكبَ هذه التَّغيُّراتِ التي طرأتْ على المجتمعِ إفرازُ ثروةٍ لفظيَّةٍ هائلةٍ كانَ لا مندوحةَ من وجودِها لاستيعابِ المفاهيمِ الجديدةِ والمعاني الدقيقةِ التي أتَى بها الإسلامُ. واصطلحَ على تسميةِ هذه

الثَّروةِ اللَّفظيَّةِ الجديدةِ بـ (الألفاظ الإسلاميَّة). وقد عرضَ الجاحظُ عددًا مِنَ هذه الألفاظِ، بقولِهِ: «أسماءٌ حَدَثَتْ ولم تَكُنْ، وإنَّما اشْتُقَّتْ لهم مِنْ أَسْمَاءِ مُتقدِّمة، على التَّشبيه، مثل قولِهم لِمَنْ أَدْرَكَ الجاهليَّةَ والإسلامَ: «مُخَضْرَم». ويَدُلُّ على أنَّ هذا الاسمَ أُحْدِث في الإسلام، أنَّهم في الجاهليَّةِ لم يكونُوا يعلمونَ أنَّ ناسًا يُسْلِمُونَ وقَدْ أَدْرَكُوا الجاهليَّةَ، ولا كَانُوا يعلمونَ أنَّ الإسلامَ يكونُ»(٢٣).

ووَقَفَ ابنُ فارس على تَحَوُّلِ معاني الألفاظِ بَعْدَ الإسلام، واكتسابها دلالاتٍ جديدةً، بقولِهِ: «كَانَتِ العَرَبُ في جَاهليَّتِها على إرْثٍ مِنْ إرْثِ آبائِهم في لُغَاتِهم وآدَابِهم ونِسَائِهم وقَرَابينِهم. فلمَّا جَاءَ الله -جَلَّ ثَنَاؤُه- بالإسلام حَالَتْ أَحْوَالٌ، ونُسِخَتْ دِيَانَاتٌ، وأُبْطِلَتْ أُمُورٌ، ونُقِلَتْ مِنَ اللُّغةِ ألفاظٌ مِنْ مَوَاضِعَ إلى مَوَاضِعَ أُخرى بزِيَادَاتٍ زِيدَتْ، وشَرَائعَ شُرِعتْ، وشَرَائطَ شُرِطَتْ، فَعَفَّى الآخرُ الأَوَّلَ»(٢٤). وإلى ذلك أشارَ أبو هلالٍ العسكريُّ بقوله: «وقد حَدَثَتْ في الإسلام معانٍ وسُمّيَتْ بأسماء كانت في الجاهليَّةِ لمعانٍ أُخرَ، فأوَّلُ ذلك القرآنُ والسُّورةُ والآيةُ والتَّيَمُّم، قال تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ أي تحرّوه، ثُمَّ كَثُرَ ذلك حَتَّى سُمِّيَ التَّمَسُّحُ تَيَمُّمًا. والفِسْقُ هو الخُرُوجُ من طاعةِ الله تعالى، وإنَّما كانَ ذلك في الرُّطبةِ إذا خَرَجَتْ من قِشْرِها، والفَأْرَةُ إذا خَرَجَتْ من جُحْرِها. وسُمِّي الإيمانُ مع إسرارِ الكُفْرِ نِفَاقًا. والسُّجُود لله إيمانًا وللوَثَنِ كُفْرًا، ولم يعرفْ أهلُ الجاهليَّةِ من ذلك شيئًا»(٢٥).

ويندرجُ هذا التَّحوّلُ تحت مُصْطَلَح (القياس المعنويّ) «ويُرَادُ به إطلاقُ لفظٍ على حقيقتينِ مختلفتينِ لشبهٍ بينهما، كالخَمْرِ يُطْلَقُ على عصيرِ العِنَبِ وعصيرِ التَّمْرِ؛ لأنَّ كلاً منهما يخمرُ العقلَ ويُغَطِّيه، وهو أشبهُ ما يكونُ بالتَّضمين»(٢٦). والقياسُ المعنويُّ يسمحُ باستعمالِ اللَّفظِ في أكثر من معنًى، فتكونُ له عدَّةُ دلالاتٍ، واحدةٌ لغويَّةٌ والأُخرى عُرْفيَّةٌ أو اصطلاحيَّةٌ، ولكن قد تَتَمَكَّنُ الدّلالةُ العُرْفيَّةُ أو الاصطلاحيَّةُ

حتَّى تُصبحَ هي الرَّاجحةَ في الاستعمالِ[٢٧]، يقولُ محمد خضر حسين: «وعلى هذا الوجهِ مِنَ النَّقْلِ حَمَلَ كثيرٌ من العلماءِ الألفاظَ الإسلاميَّةَ، كالصَّلاةِ والزَّكاةِ والصِّيامِ والحجِّ، وقالوا: إنَّ الشَّارعَ نَقَلَ هذه الألفاظَ من معانيها اللُّغويَّة، واستعملَها في معانيها الشَّرعيَّةِ... ثُمَّ صارتْ بغَلَبَةِ الاستعمالِ حقائقَ في عُرْفِ حَمَلَةِ الشَّريعةِ»[٢٨].

إنَّ المُفردةَ العربيَّةَ في مَحَطَّاتِ دلالتِها وإبَّانَ النَّقْلاتِ الحضاريَّةِ، واجتيازِها من مدلولٍ إلى آخرَ، بقيتْ على اتِّصالٍ في الدّلالةِ مع ما سَبَقَها وبخيطٍ مشتركٍ من المعنى بين الاثنين. في حين سارتْ بعضُ اللُّغاتِ مسارًا آخرَ تمَثَّلَ في قَطْعٍ دلاليٍّ مع مراحلَ سبقته. وأصبحتِ اللَّفظةُ في هذه اللُّغاتِ رمزًا وشكلاً يُطابقُ معنىً حَدَثَ من غيرِ رابطٍ مع المعنى الذي كان قائمًا في تجربةٍ سَبَقَتْ.

ولعلَّ آليةَ بنيةِ اللُّغاتِ السَّاميَّةِ، والعربيَّةِ منها، في استحداثِ الألفاظِ والمُصطلحات على تفعيلاتٍ وأوزانٍ ترتدُّ جميعُها إلى الثلاثيّ، منه تنطلقُ وإليه تعودُ، قد فَعَلَتْ فعلَها وترَكَتْ طبعَها في الحقلِ الدّلاليِّ للألفاظ، ورسَّخَتْ أثرَ السَّيرورةِ التَّاريخيَّةِ للأسماءِ في انبنائِها واصطلاحِها على معانٍ مُسْتَجِدَّةٍ. ولم يعنِ ذلك أنَّ اللُّغاتِ الأُخرى غيرَ العربيَّةِ تفقدُ هذا الاتّصالَ، إنَّما المقصودُ هنا ضعفُ السَّيرورةِ التَّاريخيَّةِ في الحقلِ الدّلاليِّ للألفاظِ عندَ لغاتٍ واشتداد ذلك في العربيَّةِ[٢٩].

ومن هُنَا أصبحنَا أمامَ مُعجم جديدٍ يشملُ ألفاظًا وتراكيبَ إمَّا مُرْتَجَلَةٌ، أي أنَّها لم تكنْ معروفةً في المجتمعِ الجاهليِّ، أو منقولةٌ أكسبَها الإسلامُ دلالاتٍ جديدةً مغايرةً عمَّا عُرِفَتْ به من قبلُ، مثل «الجنَّة»، «الإيمان»، «الهُدى»، «الجِهَاد»، «الوُضوء»، «الرَّسول»، «النَّبي» وغيرها من الكلماتِ والتَّعابيرِ المُحَمَّلَةِ بمفاهيمَ جديدةٍ والمُعَبِّرَةِ عن الرّؤيةِ الإسلاميةِ. ولا شكَّ في أنَّ هذه الألفاظَ بقسمَيها المُرْتَجَل والمنقول لها علاقةٌ وارتباطٌ من بعيدٍ أو من قريبٍ بمعناها المُسْتَعْمَلِ في لغةِ العَرَبِ.

المصطلح الإسلامي

يُمثِّلُ المصطلحُ العلميُّ اللُّغةَ الفنيَّةَ الخاصَّة بكُلِّ عِلْم، التي يستعملُها أصحابُهُ في التَّعبيرِ عن قضاياهم وأفكارِهم، وربَّما اسْتُغْلِقَتْ على غيرِهم، لكنَّ ضروراتِ البحثِ العلميِّ المُتخصِّصِ ومقتضياته استوجبتْ نشوءَ هذهِ اللُّغةِ القائمةِ على العُرْفِ الخاصِّ والاتِّفاقِ والمُواضَعَةِ بين أصحابِ كُلِّ فنٍّ أو عِلْمٍ في مجالِ تخصُّصِهم. والمُصطلحاتُ العلميَّةُ إنَّما هي أَعْلامٌ يُطلِقها أصحابُ كُلِّ فنٍّ على معاني موضوعاتِ تخصُّصِهم، ومصطلحاتُ الفنون -بهذا الوصف- مقوِّمُها قَيْدان:

القيد الأوَّل: وَضْعُ عَلَم على معنًى جديدٍ من المعاني المُختصَّةِ بفنٍّ منَ الفنون، التي هي من عوارضِها الذَّاتية.

القيد الثاني: أنْ يكونَ واضعُ هذا العَلَمِ فئةً مختصَّةً بفنٍّ من الفنون لا يشْركُهَا في إطلاقه غيرُها إلاّ على سبيلِ الاستعارة(٣٠).

ويُرادُ بالمُصطلحاتِ الإسلاميَّةِ الألفاظُ التَّقنيةُ التي تنتمي إلى مجالٍ دلاليٍّ لغويٍّ واحدٍ: الحقلِ الدينيِّ. وهذه الألفاظُ إمَّا استحدثها الإسلامُ بمجيئِهِ، أو كانتْ معروفةً عند العربِ مِنْ قَبْلُ في العصرِ الجاهليِّ، لكنَّ القرآنَ الكريمَ أضفى عليها دلالاتٍ جديدةً ذَاعَتْ وانتشرتْ وتُنُوسِيَتْ دلالاتُها الجاهليَّةُ(٣١).

وقد يُشارُ إلى المُصطَلَحِ الإسلاميِّ بالمعنى الشَّرعيِّ؛ إذْ لَحَظَ المُفسِّرونَ ورودَ كلماتٍ في الاستعمالِ القرآنيِّ بمعانٍ غيرِ المعاني التي وَرَدَتْ فيها في استعمالِ العَرَبِ قبلَ نزولِ القرآنِ، فأَرَادُوا أنْ يُميِّزوا المعنى الإسلاميَّ من المعنى العربيِّ، فقالوا: هذا اسمٌ لغويٌّ، وهذا اسمٌ شرعيٌّ(٣٢). فكانَ القرآنُ الكريمُ -بحقٍّ- انفجارًا هائلاً -إنْ جاز التَّعبيرُ- رجَّ أنحاءَ الحياةِ العربيَّةِ على اختلافِ مُستوياتها، ولا سيَّما الجانب اللُّغويّ والبيانيِّ، إذْ واجه العَرَبُ في لغتِهم شيئًا لم يعهدُوه مِنْ قَبْلُ في لغةِ شعرائِهم

وخُطَبائِهم، كانَ جديدًا في كُلِّ شيءٍ قامَ به بيانه، فالألفاظُ المعروفةُ بأصواتِها تختلفُ عَمَّا عَرَفُوه بمعانيها القرآنيَّةِ، واختلافُ معاني الألفاظِ يقتضي مِنَ القارئ أنْ يَتَعَرَّفها حَتَّى يفهمَ المُرَادَ مِنَ الجُمَلِ والعباراتِ، ويستوعبَ المفهومَ الكاملَ للنَّصِّ المَقْرُوءِ. وبهذا عَكَسَ القرآنُ الكريمُ المَقُولةَ التي تقولُ: «إنَّ المعاني مُلْقَاةٌ في الطَّريقِ يتناولُها مَنْ شَاءَ، وإنَّما يتفاضلُ البُلَغاءُ في الألفاظِ». إذْ جاء بألفاظٍ يستعملُها كلُّ الناس في معانٍ لا يعرفُها أحدٌ من النَّاسِ[٣٣]. أي أنَّ الجِدَّةَ تكونُ في المعاني وليسَ في الألفاظِ. ولتحديدِ ميدانِ دراستنا لا بُدَّ مِنَ التَّنبيهِ على أنَّ المُصطلحاتِ الإسلاميَّةَ تختلفُ عَنِ المُصطلحاتِ المُتَدَاوَلَةِ لدى مَذْهَبٍ من المَذَاهبِ الإسلاميَّةِ أو لدى فِرْقَةٍ من الفِرَقِ الإسلاميَّةِ، فهي تسمياتٌ خاصَّةٌ تختلفُ باختلافِ هذه المَذَاهِبِ والفِرَقِ، ولا يُمكنُ أنْ تُوْصَفَ بأنَّها مِنِ اصطلاحاتِ المُسلمينَ؛لأنَّها فَقَدَتِ التَّعميمَ واتَّجهتْ نحو التَّخصيص، لذا سَنُكرِّسُ الحديثَ عمَّا هو إسلاميٌّ فقط.

ولا نَبْغي من وَرَاءِ بحثنا هذا دراسةَ المُصطلحاتِ الإسلاميَّةِ كافَّةً، بل نماذج تكونُ كفيلةً ببيانِ الفكرةِ التي أُقيمتْ عليها هذه الدِّراسةُ، لعلَّها تُضيءُ الطَّريقَ للشُّروعِ في جَمْعِ هذه المُصطلحاتِ ودراستِها في ضوءِ التَّطوُّرِ الدّلاليِّ.

الآخرة

أُخذ هذا المُصْطَلَحُ مِنَ الجَذْرِ (أخر)، الذي تَرْجِعُ ألفاظُهُ إلى أَصْلٍ واحدٍ، هو خلافُ التَّقدُّم[٣٤]، وقد وَرَدَ هذا المُصطلحُ في لغةِ العَرَبِ بدلالةٍ لغويَّةٍ اشتُقَّتْ منها الدِّلالةُ الشَّرعيَّةُ، قال الزَّبيديُّ: «الآخِرَةُ مِنَ الرَّحْلِ خِلافُ قادِمتِه، وكذا مِنَ السَّرْجِ، وهي التي يستندُ إليها الرَّاكبُ... وقد جاء في الحديث: «إذا وَضَعَ أحدُكُم بينَ يديه مِثْلَ آخِرَةِ الرَّحْلِ فلا يُبالي مَنْ مَرَّ وَرَاءَه»»[٣٥].

أي أنَّ دلالةَ هذه اللَّفظةِ مُطْلَقَةٌ لا يُحدِّدها إلاّ السِّياقُ، وقد وَرَدَتْ في الاستعمالِ القرآنيِّ بمعنًى خاصٍّ تظهرُ فيه الدّلالةُ المركزيَّةُ على نحوٍ واضح، بوصفِها المُقابلةَ للأُولى وهي الحياةُ الدُّنيا، قال الرَّاغبُ: «آخِرُ يُقابَلُ به الأوَّلُ، وآخَرُ يُقابَلُ به الواحدُ، ويُعبَّر بالدَّارِ الآخِرةِ عن النَّشأةِ الثَّانيةِ، كما يُعَبَّر بالدارِ الدُّنيا عن النَّشأةِ الأُولى، نحو قولِهِ تعالى ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ (العنكبوت ٦٤)، وربما تُرِكَ ذِكْرُ الدَّارِ، نحو قوله تعالى ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ﴾ (هود ١٦)، وقد تُوصَفُ الدَّارُ بالآخرةِ تارةً وتُضافُ إليها تارةً، نحو ﴿وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ (الأنعام ٣٢)، ﴿وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ (النمل ٤١)»[٣٦].

وتدلُّ لفظةُ (الآخرة) في الاصْطِلاحِ الإسلاميِّ على المَعَادِ، قال التهانويُّ: «الآخِرَةُ بالمدِّ وكَسْرِ الخاءِ عبارةٌ عن أحوالِ النَّفسِ النَّاطقةِ في السَّعادةِ والشَّقاوةِ، ويُسمَّى بالمَعَادِ الرّوحانيِّ أيضًا، كذا في بعضِ حَوَاشي شَرْحِ هدايةِ الحكمةِ. والظَّاهرُ أنَّ هذا اصطلاحُ الحُكَمَاءِ النَّافينَ للمعاد الجسمانيِّ، وإلاّ فالمُتَعَارفُ في كُتُبِ الشَّرْعِ واللُّغةِ إطلاقُها على المَعَادِ مُطْلَقًا، أي جسمانيًّا وروحيًّا كما يدُلُّ عليه ما يجيءُ في لفظِ البَرْزَخِ»[٣٧].

نلحظُ من هذه الدّلالاتِ أنَّ لفظةَ (الآخِرة) مُسْتَعْمَلَةٌ في كلامِ العَرَبِ بدلالةٍ مُطْلَقَةٍ، ثُمَّ استعملَها القرآنُ الكريمُ على نحوٍ أضيق، فَصَارَتْ دلالتُها مُخَصَّصةً، وأَضْحَتْ مُرادِفَةً للمَعَادِ، وهو مفهومٌ نادى به الإسلامُ وآمنَ به المُسلمونَ.

الأذان والمؤذن

أُخذ هذانِ المُصْطَلَحانِ من الجَذْرِ (أذن)، الذي يدلُّ على أصلَينِ، قال ابنُ فارس: «الهَمْزَةُ والذَّالُ والنُّونُ أصلانِ مُتَقارِبانِ في المعنى مُتَبَاعدانِ في اللَّفْظِ،

أحدهُما أُذُنُ كُلِّ ذي أُذُن، والآخرُ العِلْمُ، وعنهما يتفرَّعُ الباب كُلُّه»[٣٨]. وأرى أنَّ هذين الأصلينِ يعودان إلى مَصْدرٍ واحد، هو العِلْمُ والإعلامُ، وإنَّما سُمِّيَتِ الأُذُنُ أُذُنًا لأَنَّها أداةٌ للسَّمْعِ وتقبُّل الإعلام، ثُمَّ اسْتُعِيْرَتْ لفظةُ (الأُذُن) لتُطلَقَ على ما يُشبهها في المعنى أو الشَّكْلِ، قال ابن فارس: «ويُقالُ للرَّجُلِ السَّامعِ مِنْ كُلِّ أحدٍ أُذُنٌ، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾. والأُذُن عُرْوَةُ الكُوزِ، وهذا مُسْتَعَارٌ»[٣٩].

وقد وَرَدَتْ ألفاظُ هذا الجَذْرِ بمعنى العِلْم والإعلام في الاستعمالِ القرآنيِّ، قال الرَّاغبُ: «أَذِنَ: اسْتَمَعَ، نحو قوله: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ (الانشقاق ٢). ويُسْتَعمَلُ ذلك في العِلْمِ الذي يُتَوَصَّلُ إليه بالسَّماعِ، نحو قوله: ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (البقرة ٢٧٩)، والإذْنُ والأَذَانُ لِمَا يُسْمَعُ ويُعبَّرُ بذلك عن العِلْم، إذْ هو مَبْدَأُ كثيرٍ مِنَ العِلْمِ فينا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ (الأعراف ١٦٧)، والمُؤَذِّنُ كُلُّ مَنْ يُعْلِمُ بشيءٍ نِدَاءً، قال: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ (يوسف ٧٠)»[٤٠].

وقد اتَّجَهَتْ دلالةُ لفظَتَي (الأَذَان) و (المُؤَذّن) وجهةً اصطلاحيَّةً في الشَّريعةِ الإسلاميَّةِ، فخُصَّتْ دلالتُها بإعلامٍ مَخْصُوصٍ زَمَنُه، بَعْدَ أنْ كَانَ مُطْلَقًا وعامًّا، وقد يُرَادُ من (الأَذَان) مجموعُ الألفاظِ التي يقرؤها المُؤَذِّن، قال التهانويُّ: «الأَذَانُ بالفَتْحِ شرعًا الإعلامُ بوَقْتِ الصَّلاةِ بوجهٍ مخصوصٍ معروفٍ.ويُطْلَقُ أيضًا على الألفاظِ المخصوصةِ المعروفةِ»[٤١]. وقال الزَّبيديُّ: «الأَذَانُ: الإقامةُ لِمَا فيها من الإعلامِ لِلْحُضُورِ للفَرْضِ»[٤٢]. ومنه سُمِّيَت (المِئْذَنة) وهي مكانُ الأَذَان. وقد اسْتَدْرَكَ الزَّبيديُّ على السَّابقينَ لفظةَ (الأَذَان) مُثنَّاةً، قال: «الأَذَانَان: الأَذَانُ والإقامةُ، ومنه الحديث: «بين كُلِّ أَذَانين صلاةٌ»»[٤٣].

المؤمن

أُخذ هذا المُصْطَلَحُ من الجَذْرِ (أمن)، وله في لغةِ العَرَبِ أصلانِ، قال ابنُ فارس: «الهَمْزَةُ والميمُ والنُّونُ أصلانِ مُتَقَاربانِ: أحدهُما الأَمَانَةُ التي هي ضِدُّ الخِيَانةِ، ومعناها سُكُونُ القَلْبِ، والآخرُ التَّصْديقُ... بيتٌ آمِنٌ ذو أَمْنٍ، قال تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾... وأمَّا التَّصديقُ فقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا﴾ أي مُصدِّقٍ لنا»(٤٤).

نلحظُ أنَّ لفظةَ (مُؤمِن) مُسْتَعْمَلَةٌ في لغةِ العَرَبِ على نحوٍ عامٍّ، سواءٌ بأصلِها الدّلاليِّ الأوَّلِ أم الثَّاني، أمَّا اسْتعمالُها في الاصْطِلاح الإسلاميِّ فينتمي إلى الأصلِ الثَّاني الذي ذَكَرَهُ ابنُ فارس، وهو التَّصديقُ، ولكنَّ دلالتَها الاصطلاحيَّةَ أصبحتْ مُخَصَّصَةً بنوعٍ مُحدَّدٍ من التَّصديقِ، فهي تُطْلَقُ على «المُصَدِّق باللهِ وبرسولهِ وبما جَاءَ به»(٤٥) وهي دلالةٌ جديدةٌ لا عَهْدَ للعربِ بها، لأنَّها من المُصطلحاتِ الإسلاميَّةِ التي اسْتُحْدِثَتْ بمجيءِ الإسلامِ.

وبهذا صَارَ (الإيمان) اسماً للشَّريعةِ التي جَاءَ بها نبيُّنا الأكرمُ مُحَمَّدٌ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وعلى ذلك: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى﴾ (المائدة ٦٩)، ويُوصَفُ به كُلُّ مَنْ دَخَلَ في شريعتِهِ مُقِرًّا بالله وبِنُبُوَّتِهِ، قِيْلَ: وعلى هذا قَالَ تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ (يوسف ١٠٦).

ويستلزمُ الإيمانُ في المنظورِ الإسلاميِّ التَّصديقَ باجتماعِ ثلاثةِ أشياء: تحقيقٌ بالقَلْبِ، وإقرارٌ باللِّسانِ، وعَمَلٌ بِحَسَبِ ذلك في الجوارحِ، وعلى هذا قولُهُ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ (الحديد ١٩).(٤٦)

ووَرَدَ في الاصطلاحِ الإسلاميِّ لفظُ (المُنَافق) الذي له ارتباطٌ بلفظِ (المُؤْمن)، قال الأزهريُّ: «أصْلُ الإيمانِ الدُّخولُ في صِدْقِ الأمانةِ التي ائتَمَنَه الله تعالى عليها، فإنِ اعتقدَ التَّصْديقَ بِقلبِهِ كما صدَّقَ بِلِسَانِهِ فقد أدَّى الأمانةَ، وهو مُؤْمِنٌ، ومَنْ لم يعتقدِ التَّصديقَ بقلبِهِ، فهو غيرُ مُؤَدٍّ للأمانةِ التي ائتمنه اللهُ عليها، وهو مُنَافِقٌ، ومَنْ زَعَمَ أنَّ الإيمانَ: هو إظهارُ القولِ دون التَّصديق بالقلب، فهو لا يخلو من أنْ يكونَ مُنَافِقًا أو جاهِلاً لا يعلمُ ما يقولُ، أو يُقَالُ له»(٤٧). ويرى الزَّبيديُّ أنَّ الإيمانَ قد يكونُ في اللِّسانِ دونَ التَّصديقِ، قال تعقيبًا على كلامِ الأزهريِّ: «وقد يُطْلَقُ الإيمانُ على الإقرارِ باللِّسانِ فقط، كقولِهِ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ (المنافقون ٣) أي آمنوا باللِّسانِ وكفروا بالجِنَانِ، فَتَأَمَّلْ»(٤٨).

البرزخ

ورد لفظ (البَرْزَخ) في المُعجماتِ اللُّغويَّةِ بمعنى الحَاجِزِ والحدِّ بينَ الشَّيئين، قال ابنُ منظور: «(البَرْزَخُ: ما بَيْنَ كُلِّ شيئين، وفي الصِّحاح:الحَاجِزُ بَيْنَ الشَّيئين»(٤٩). ولم يُشِرْ أصحابُ هذه المُعجماتِ إلى أصلِهِ الذي أُخِذَ منه، ويبدو أنَّه مُقتَرَضٌ من لغة أُخرى، وهذا ما نَقَلَهُ الرَّاغبُ بقولِه: «البَرْزَخُ: الحَاجِزُ والحَدُّ بَيْنَ الشَّيئين، وقِيْلَ أصلُهُ بَرْزَه فعُرِّبَ»(٥٠). وأشار التَّهانويُّ إلى أنَّه منقولٌ مِنَ الفارسيَّةِ، قال: «البَرْزَخُ بفتحِ الأوَّلِ والثَّالثِ على وَزْنِ جَعْفَر، في اللُّغةِ الفارسيَّةِ هو عبارةٌ عن شيءٍ حائلٍ بَيْنَ شيئين، وما بَيْنَ الدُّنيا والآخِرَةِ»(٥١).

وأَشَارَ السَّيد ادّى شير إلى أنَّه مُعَرَّبٌ عن (بَرْزك)، ذاكرًا أَصْلَهُ الدّلاليَّ في اللُّغةِ الفارسيَّة، قال: «البَرْزَخُ: الحَاجِزُ بين الشَّيئين، وما بين الدُّنيا والآخِرَةِ من وَقْتِ المَوْتِ إلى البَعْثِ، فمَنْ مَاتَ قد دَخَلَ البَرْزَخ، وهو مُعَرَّبٌ عن بَرْزَك، ومعناه

العميد مجلة فصلية محكمة

النَّحِيْبُ والبُكَاءُ، أو عن البَرْزَخ، أي الشَّيء الذي عليه النَّحيبُ والبُكاءُ. ومعلومٌ أنَّ البَرْزَخ بالمعنى الثَّاني مَوْضِعُ البُكاءِ والنَّحيبِ»(٥٢). ونحن مع هذا الرَّأْي؛لأنَّ القولَ بعربيَّةِ البَرْزَخِ، لا يستندُ إلى دليلٍ لغويٍّ.

أمَّا في الاصطلاحِ الإسلاميِّ فقد ضَاقَتْ دلالةُ هذه اللَّفظةِ، فاسْتُعْمِلَتْ تارةً اسماً للقَبْرِ، وهو المَوْضِعُ الذي يكونُ فيه الإنسانُ بَعْدَ موتِهِ إلى يَوْمِ القيامةِ، وتارةً أُخرى تُسْتَعْمَلُ في القيامةِ بمعنى الحَاجزِ بين الإنسانِ وبلوغِهِ المَنَازلَ الرَّفيعةَ، قال الرَّاغبُ: «البَرْزَخُ في القِيَامَةِ الحَائلُ بين الإنسانِ وبين بُلوغ المَنَازلِ الرَّفيعةِ في الآخرةِ، وذلك إشارةٌ الى العَقَبَةِ المذكورةِ في قولِهِ عزَّ وجلَّ: ﴿فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ (البلد١١). قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون ١٠٠). وتلك العَقَبَةُ مَوَانعُ من أحوالٍ لا يصلُ إليها إلاّ الصَّالحونَ، وقِيْلَ البَرْزَخُ ما بين المَوْتِ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ»(٥٣). وقد يُسمَّى الخطُّ بين الجنَّةِ والنَّارِ بَرْزخاً(٥٤).

ويُسمّيه الجُرجانيُّ عَالَمَ المِثَالِ، قال: «البَرْزَخُ:العالَمُ المشهورُ بين عَالمِ المعاني المُجرَّدةِ، والأجسامِ المادّيَّةِ، والعباداتِ تتجسَّدُ بما يُناسِبُها إذا وَصَلَ إليه، وهو الخيالُ المُنفصلُ، والحائلُ بين الشَّيئينِ، ويُعَبَّرُ به عن عالمِ المثالِ، أعني الحَاجِزَ من الأجسامِ الكثيفةِ وعالمِ الأرواحِ المُجرَّدةِ، أعني الدُّنيا والآخرةِ»(٥٥).

الثواب

أُخِذَ هذا المُصْطَلَحُ من الجَذْرِ (ثوب)، الذي يدلُّ على أصلٍ معنويٍّ واحدٍ، هو الرُّجُوعُ، قَالَ ابنُ فارس: «الثَّاءُ والواوُ والباءُ قياسٌ صحيحٌ من أصلٍ واحدٍ، وهو العَوْدُ والرُّجوعُ، يُقالُ:ثَابَ يَثُوبُ إذا رَجَعَ، والمَثَابَةُ: المكانُ يثوبُ إليه النَّاسُ»(٥٦). ويبدو معنى الرُّجُوعِ واضحًا في ألفاظِ هذا الجَذْرِ، قال الرَّاغبُ: «أَصْلُ الثَّوْبِ رُجُوعُ

الشَّيْءِ إلى حالتِهِ الأُولى التي كان عليها، أو إلى الحالةِ المُقَدَّرةِ المقصودةِ بالفِكْرَة، وهي الحالةُ المُشَارُ إليها بقولِهِم: أوَّلُ الفِكْرَةِ آخرُ العَمَلِ، فمن الرُّجُوعِ إلى الحَالةِ الأُولى قولُهُم: ثَابَ فُلانٌ إلى دارِهِ وثَابَتْ إليَّ نفسي، وسُمِّيَ مكانُ المُسْتَسْقى على فَمِ البِئْرِ مَثَابةً مِنَ الرُّجُوعِ إلى الحَالةِ المُقَدَّرةِ المقصودةِ بالفِكْرَةِ»[٥٧].

ولكنَّه في الاصْطِلَاحِ الإسلاميِّ صَارَ اسمًا لِمَا يَرْجِعُ إلى الإنسانِ من جَزَاءِ أعمالِهِ فيُسَمَّى الجَزَاءُ ثوابًا تصوّرًا أنَّه هو هو، من بَابِ التَّوسُّعِ الدّلاليِّ بإحدى علاقاتِ المَجَازِ وهي السَّببيَّة. على قياسِ تسميةِ العَسَل والنَّحْل ثوابًا، قال الزَّبيديُّ: «ومن المَجَازِ: الثَّوابُ بمعنى العَسَل، أنْشَدَ ابنُ القطَّاع:

هي أَحْلَى مِنَ الثَّوَابِ إذا ما ذُقْتُ فَاهَا وبارِئِ النَّسَـــمِ

والثَّوَابُ النَّحْلُ؛ لأنَّها تثوبُ، قال سَاعدةُ بنُ جُؤَيَّة:

مِنْ كُلِّ مُعْنِقَة وكُلِّ عَطـــــافةٍ منها يُصَدِّقُها ثَوابٌ يَرْعَبُ»[٥٨]

وقال الرَّاغبُ: إنَّ «الثَّوَابَ يُقالُ في الخَيْرِ والشَّرِّ، لكنْ الأكثرُ المُتَعَارفُ في الخيرِ، وعلى هذا قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (آل عمران ١٩٥). وكذلك المَثُوبةُ في قولِهِ تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ﴾ (المائدة ٦٠). فإنَّ ذلك استعارةٌ في الشَّرِّ كاستعارةِ البِشَارةِ فيه. والإِثَابَةُ تُسْتَعْمَلُ في المَحْبُوبِ، قال تعالى: ﴿فَأَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ (المائدة ٨٥). وقد قِيْلَ ذلك في المَكْرُوه، نحو: ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمَّاً بِغَمٍّ﴾ (آل عمران ١٥٣). على الاستعارةِ كما تقدَّم»[٥٩].

فإذا عَمِلَ الإنسانُ عملاً حسنًا، فسيكونُ هذا العَمَلُ سببًا في استحقاقِهِ نظيرَ ما عَمِلَ، قال الجرجانيُّ: «الثَّواب ما يتسحقُّ به الرَّحمةَ والمغفرةَ من الله تعالى، والشَّفاعةَ من الرسول صلَّى الله عليه وسلم. وقِيْلَ هو إعطاءُ ما يُلائِمُ الطَّبْعَ»(٦٠).

وهناك فَرْقٌ بين الثَّوَابِ والأَجْرِ، نَقَلَ الزَّبيديُّ عن شيخِهِ قولَه: «الحاصِلُ بأُصُولِ الشَّرْعِ والعباداتِ: ثَوَابٌ، وبالكمالاتِ: أَجْرٌ؛ لأنَّ الثَّوابَ لغةً بَدَلُ العَيْنِ، والأَجْرُ بَدَلُ المَنْفَعَةِ»(٦١). ولكنَّ الزَّبيديَّ لم يطمئنّ لهذا القول؛ لأنَّه فَرْقٌ غير واردٍ في الأُمَّهات اللُّغويَّةِ(٦٢).

الجزية

اشتُقَّ هذا المُصْطَلَحُ من الجَذْرِ (جزى)، الذي تدلُّ ألفاظُهُ على معنى الإنابة والقَضَاءِ، قال ابنُ فارس: «الجيم والزاي والياء: قيامُ الشَّيءِ مَقَامَ غيرِهِ ومُكَافأتُهُ إيَّاه، يُقال: جَزَيْتُ فُلانًا أَجْزِيه جَزَاءً، وجَازَيْتُهُ مُجَازاةً. وهذا رَجُلٌ جَازيكَ من رجلٍ، أي حَسْبُك، ومعناه أنَّه يَنُوبُ مَنَاب كُلِّ أَحَدٍ. وتقولُ: جَزَى عَنِّي هذا الأمرَ يَجْزِي، كما تقولُ قَضَى يَقْضِي. وتَجَازَيْتُ دَيْني على فُلان، أي تَقَاضَيْتُهُ. وأهل المدينة يُسَمُّون المُتَقاضي المُتَجَازي. قال الله جلَّ ثناؤه: ﴿يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً﴾ (البقرة ٤٨) أي لا تَقْضي»(٦٣). ويأتي بمعنى المُكَافَأَةِ، قال الزَّبيديُّ: «الجَزاءُ: المُكافأةُ على الشَّيءِ»(٦٤). ويأتي الجَزَاءُ بمعنى الغَناء والكِفَايَةِ، ويكونُ في الخَيْرِ أو الشَّرِّ، قال الرَّاغبُ: «الجزاءُ ما فيه الكِفَايةُ من المُقَابَلة إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنْ شَرًّا فشرٌّ، يُقَالُ: جَزَيتُهُ كذا وبكذا، قال الله تعالى: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى﴾ (طه ٧٦)، وقال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (الشورى ٤٠)»(٦٥). ويبدو أنَّ (الجِزْيَة) في الاصْطِلَاحِ الإسلاميِّ أُخِذَتْ من معنى القَضَاءِ، فَصَارَتِ اسماً لِمَا يُؤْخَذُ مِنَ الذِّمّيِّ، ليكونَ

قضاءً عن عَدَمِ دُخُولِهِ في الإسلام، قَالَ الرَّاغِبُ: «والجِزْيَةُ: ما يُؤْخَذُ من أَهْلِ الذِّمَّةِ، وتسميتُها بذلك للاجْتِزَاءِ بها في حَقْنِ دَمِهِم، قال الله تعالى: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة ٢٩)»(٦٦).

والجِزْيَةُ اسمٌ على وزن (فِعْلَة)، من الجَزَاءِ، كأنَّها جَزَتْ عن قَتْلِ مَنْ تُؤْخَذُ منه، وقد ميَّزَ الاصْطِلَاحُ الإسلاميُّ الجِزْيَةَ من الخَرَاجِ، فالأُولى لا تكونُ إلاّ على الذّمّيِّ، أمَّا الثَّانيةُ فلا تكونُ إلاّ على المُسْلِمِ «وفي الحديث: «ليس على مُسْلم جِزْيَةٌ»، أرادَ أنَّ الذِّمّيَّ إذا أَسْلَمَ، وقد مرَّ بعضُ الحَوْلِ، لم يُطَالبْ من الجِزْيَةِ بِحِصَّةِ ما مَضَى من السَّنَةِ، وقِيلَ أرادَ أنَّ الذِّمّيَّ إذا أَسْلَمَ وكان في يَدِهِ أَرْضٌ، صُوْلِحَ عليها بِخَرَاجٍ يُوْضَعُ عن رَقَبتِهِ الجِزْيَةُ، وعن أَرْضِهِ الخَرَاجُ، ومنه الحديث: «مَنْ أَخَذَ أَرْضًا بجِزْيَتِها»، أراد به الخَرَاجَ الذي يُؤَدَّى عنها، كأنَّه لازمٌ لِصَاحبِ الأرضِ، كما تلزمُ الجِزْيَةُ الذِّمّيَّ»(٦٧). ولم يُفرِّقِ التَّهانويُّ بين مُصْطَلَحَي (الجِزْيَة) و (الخَرَاج)، بل عدَّهما مُتَرَادِفَين، قال: «الجِزْيَةُ بالكَسْرِ وسُكُونِ الزَّاي المُعْجمةِ هي المَالُ الذي يُوضَعُ على الذِّمّيِّ، ويُسمَّى بالخَرَاجِ وخَرَاجِ الرأس»(٦٨).

وقد اقتصرَ التَّعبيرُ القُرآنيُّ على لفظِ (الجِزْيَة) ولم يستعمل (المُكَافَأة) التي يُظَنُّ أنَّها مُرَادِفَةٌ للأُولى، قَالَ الرَّاغِبُ: «يُقَالُ: جَازِيك فُلانٌ، أي كافِيك، ويُقَال: جَزَيْتُه بكذا وجازَيْتُهُ، ولم يَجِئ في القُرآنِ إلاّ جَزَى دون جَازَى وذلك أنَّ المُجَازَاةَ هي المُكافأةُ وهي المُقَابلةُ من كُلِّ واحدٍ من الرَّجلين، والمُكَافأةُ هي مُقَابلةُ نِعْمَة بنِعْمَةٍ هي كُفْؤها، ونِعْمَةُ اللهِ تعالى ليستْ من ذلك؛ولهذا لا يُسْتَعمَلُ لفظُ المُكَافأةِ في اللهِ عزَّ وجلَّ وهذا ظاهرٌ»(٦٩).

الجهاد

أُخِذَ هذا المُصْطَلَحُ من الجَذْر (جهد)، الذي يدلُّ على أصل دلاليٍّ واحدٍ، قالَ ابنُ فارس: «الجيمُ والهاءُ والدَّالُ أصلُهُ المَشَقَّةُ، ثُمَّ يُحْمَلُ عليه ما يُقاربُهُ. يُقَال: جَهَدْتُ نفسي وأَجْهَدْتُ والجُهْدُ الطَّاقة. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ﴾ (التوبة ٧٩)»[٧٠]. وقد وَرَدَ لفظُ الجَهَادِ بفتحِ الجيمِ في لغةِ العَرَبِ بمعنى الأرض الصُّلبة[٧١]. أما (الجِهَادُ) بكسرِ الجيمِ في الاصْطِلاَحِ الإسلاميِّ فهو لفظةٌ مُرْتَجَلَةٌ لم تَرِدْ في كلامِ العَرَبِ، وإذا تحرّينا العَلاقةَ بين المعنيينِ اللُّغويِّ والاصطلاحيِّ استطعْنَا أنْ نلحظَ رابطًا بينهما، وهو المشقَّةُ، إذْ ضَاقَتْ دلالةُ هذه اللَّفظةِ في الاصطلاحِ، الذي يُرادُ بها «الدُّعاءُ إلى دينِ الحقِّ»[٧٢]. وقال التَّهانويُّ في معناه: «الجِهَادُ في الشَّريعة قتالُ الكُفَّارِ ونحوهِ من ضَرْبِهم ونَهْبِ أَمْوَالِهم وهَدْمِ معابِدِهم وكَسْرِ أَصْنَامِهم وغيرِها... ومثلُهُ في فَتْحِ القديرِ حيثُ قال: الجِهَادُ غَلَبَ في عُرْفِ الشَّرْعِ على جِهادِ الكُفَّارِ، وهو دعوتُهم إلى الدِّينِ الحقِّ وقتالُهم إنْ لم يقبلوا، وهو في اللُّغة أعمُّ من هذا»[٧٣].

نلحظُ أنَّ العلاقةَ السببيَّةَ كانتْ مُسَوِّغًا لاستعمالِ لفظةِ (الجِهَادِ) بالمعنى الإسلاميِّ، فبسببِ ما فيه من مُجاهَدَةِ النَّفْسِ وتحمّلِها المشقَّةَ من أَجْلِ الحفاظِ على الدِّينِ الإسلاميِّ من الأَعداءِ ونَشْرِ كلمةِ اللهِ تعالى.فالاجتهادُ هو «أَخْذُ النَّفْسِ ببذْلِ الطَّاقةِ وتحمُّلِ المشقَّةِ، يُقال: جَهَدْتُ رأيي وأَجْهَدْتُهُ أَتْعبْتُهُ بالفِكْرِ، والجِهَادُ والمُجَاهَدةُ اسْتِفْرَاغُ الوُسْعِ في مُدَافَعَةِ العدوِّ. والجِهَادُ ثلاثةُ أَضْرُب: مُجَاهَدةُ العدوِّ الظَّاهرِ، ومُجَاهَدَةُ الشَّيطانِ، ومُجَاهَدَةُ النَّفْسِ، وتدخلُ ثلاثتُها في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ (الحج ٧٨)»[٧٤]. وتكونُ المُجاهدةُ باليدِ واللِّسانِ، قال الرَّسولُ الأكرمُ مُحَمَّدٌ ﷺ: «**جاهِدُوا الكُفَّارَ بأيديكم وألسنتِكم**»[٧٥]. ومُجاهدةُ النَّفْسِ عند الصُّوفيَّةِ هو الجِهَادُ الأَكبرُ[٧٦].

الحشر

أُخِذَ هذا المُصْطَلَحُ من الجَذْرِ (حشر)، الذي يدلُّ على الجَمْعِ، وهو قريبٌ من معنى الحَشْد، ولكنَّه زَادَ عليه في دلالتِهِ على السَّوْقِ والبَعْثِ والانْبِعَاثِ. وأهلُ اللُّغةِ يقولونَ: الحَشْرُ هو الجَمْعُ مع سَوْقٍ[٧٧].

ومن مَعَاني الحَشْرِ الإخْرَاجُ إلى الحَرْبِ، قال الرَّاغبُ: «الحَشْرُ إخراجُ الجماعةِ عن مَقرِّهم وإزعاجُهُم عنه الى الحَرْبِ ونحوها.ورُوِيَ: «النِّساءُ لا يُحْشَرْنَ»، أي لا يُخْرَجْنَ إلى الغَزْوِ، ولا يُقالُ الحَشْرُ إلاَّ في الجَمَاعَةِ، قال تعالى: ﴿وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (الشعراء ٣٦)»[٧٨].

أمَّا في الاصطلاحِ الإسلاميِّ فقد صَارَ الحَشْرُ اسماً ليومِ القيامةِ، وسُمِّيَ يومَ البَعْث ويومَ النَّشْرِ[٧٩]؛ وذلك لاجتماعِ المخلوقين في هذا اليوم.وهو يُرَادِفُ البَعْثَ والمَعَادَ، قال التَّهانويُّ: «الحَشْرُ بالفتحِ وسكونِ الشِّينِ المُعْجَمَةِ هو والبَعْثُ والمَعَادُ ألفاظٌ مُتَرَادِفَةٌ... ويُطْلَقُ بالاشتراكِ اللَّفظيِّ كما هو الظَّاهِرُ على الجسمانيِّ والرّوحانيِّ. فالجسمانيُّ هو أنْ يبعثَ اللهُ تعالى بَدَنَ الموتى من القُبُورِ، والرّوحانيُّ هو إعادةُ الأرواحِ إلى أبدانِها.ثُمَّ إنَّهم اختلفُوا في أنَّ الحَشْرِ إيجادٌ بعد الفَنَاء، بأنْ يَعْدمَ اللهُ الأجزاءَ الأصليَّةَ للبَدَنِ، ثُمَّ يُعيدَها، أو جَمْعٌ بعد التَّفْريق، بأنْ يُفرِّقَ الأجزاءَ فيختلطُ بعضُها ببعض، ثُمَّ يُعيدُ فيها التَّأليفَ، ويدلُّ عليه ظاهرُ قولِهِ تعالى: ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (سبأ ٧)»[٨٠].

وخُلاصَةُ الآراءِ في قضيَّةِ المَعَادِ ثلاثة، **الأوّلُ**: ثُبُوتُ المَعَادِ الجِسْمَانيِّ فقط، وهو قولُ أكثرِ المُتَكلِّمينَ النَّافينَ للنَّفْسِ النَّاطقة. **والثَّاني**: ثُبُوتُ المَعَادِ الرّوحانيِّ فقط، وهو قولُ الفلاسفةِ الإلهيين. **والثَّالثُ**: ثبوتُهما معًا، وهو قولُ كثيرٍ من المُحَقِّقينَ كالحليمي والغزالي والرّاغب من المعتزلةِ، وجمهورِ متأخّري الإماميَّةِ، وكثيرٍ من الصُّوفيَّةِ[٨١].

وورِدت لفظة (المَحْشر) في التَّاج بكسرِ الشّينِ وفتحِها، وانتقلتْ من مَعْنَاها العامِّ إلى معنًى خاصٍّ اسْتُعمِلَ في الاصْطِلَاحِ الإسلاميِّ، فصارتِ اسمًا لمَوْضِعِ الحَشْرِ الذي إليه يُحْشَرُ النَّاسُ[٨٢].

الزكاة

أُخِذَ هذا المُصْطَلَحُ من الجَذْر (زكو)، الذي يدلُّ على أصلِ دلاليٍّ واحدٍ، هو النَّمَاءُ والزِّيَادةُ[٨٣]، وهو أصلٌ لكُلِّ الألفاظِ المُشتقَّةِ من هذا الجَذْرِ، مع اختلافٍ في المعاني الهامشيَّةِ. وتكونُ هذه الزِّيَادةُ مادّيَّةً ومعنويَّةً، قال الزَّبيديُّ: «زَكَا المالُ والزَّرْعُ وغيرُهما يَزْكو زَكَاءً بالمدِّ وزَكْوًا بالفتح: نَمَا وراعَ. وفي حديث عليٍّ «المالُ تَنْقُصُه النَّفَقةُ، والعِلْمُ يَزْكُو على الإنْفَاقِ». فاستعارَ له الزَّكَاءَ وإنْ لم يكنْ ذا جِرْمٍ، وكُلُّ شيءٍ يزدادُ ويَسْمَنُ فهو يَزْكُو زَكَاءً»[٨٤].

وقد حَصَرَ الرَّاغبُ هذه الزّيادةَ والنَّماءَ بما حَصَلَ من بركةِ الله تعالى، قال: «أصلُ الزَّكاةِ النّموُّ الحَاصِلُ عن بركةِ اللهِ تعالى، ويُعْتَبَرُ ذلك بالأُمورِ الدّنيويَّةِ والأُخرويَّةِ»[٨٥].

ووَرَدَتْ لفظةُ (الزَّكاة) عند العَرَب بمعنى الصَّلاح، ومن ذلك: رجلٌ تقيٌّ زكيٌّ، أي زاكٍ من قَوْمٍ أتقياء أزكياء. وزكَّى نفسَه تَزْكيةً: مَدَحَها[٨٦].

أمَّا (الزَّكاة) في الاصطلاح الإسلاميِّ فليستْ ببعيدةٍ عن المعنى الحقيقيِّ وهو النَّماء والزيادة، ولكنَّ دلالتَها خُصِّصَتْ، فهي «عبارةٌ عن إيجابِ طائفةٍ من المَالِ في مالٍ مخصوصٍ لمالكٍ مخصوص»[٨٧]. فصارتِ اسمًا يُرادُ به «قدرٌ مُعيَّنٌ من النِّصَابِ الحوليِّ يُخرِجُهُ الحُرُّ المسلمُ المُكَلَّفُ لله تعالى إلى الفقيرِ المُسلم غيرِ الهاشميِّ، ولا مولاه، أي مولى الهاشميّ»[٨٨]. وتسميتُها بذلك لِمَا يكونُ فيها من رجاءِ البَرَكَةِ أو

لِتزْكِيةِ النَّفْس، أي تنميتها بالخيراتِ والبركاتِ، أو لهُما جميعًا؛ فإنَّ الخَيْرَين موجودانِ فيها. وتزكيةُ الإنسانِ نفسَه ضربانِ: أحدُهما بالفعلِ وهو محمودٌ، وإليه قُصِدَ بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾ (الأعلى ٤١)، والثَّاني بالقولِ، كتزكيةِ العَدْلِ غيرَه، وذلك مذمومٌ أنْ يفعل الإنسانُ بنفسِهِ، وقد نَهَى اللهُ تعالى عنه فقال: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ (النجم ٣٢)[٨٩].

الساعة

عَرَفَ العَرَبُ لفظةَ (السَّاعة) بمعناها الحقيقيِّ، قال الزَّبيديُّ: «السَّاعةُ: الوَقْتُ الحاضِرُ، ويُعبِّرُ عن جزءٍ قليلٍ من اللَّيلِ والنَّهار، يُقَالُ: جَلَسْتُ عندك ساعةً، أي وقتًا قليلاً»[٩٠].

أمَّا استعمالُها في الاصطلاحِ الإسلاميِّ فمَجَازٌ علاقتُهُ السَّببيَّةُ، إذْ سُمِّيَتِ القيامةُ السَّاعةَ؛ «لأنَّها تَفْجأُ النَّاسَ في ساعةٍ، فَيَمُوتُ الخَلْقُ كُلُّهم بِصيحةٍ واحدةٍ»[٩١]. ووَرَدَتْ في الاستعمالِ القرآنيِّ ثمانٍ وأربعينَ مرةً، ومن أمثلة ذلك، قولُهُ تعالى: ﴿وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (الزخرف ٨٥)، و ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ (الشورى ١٧).

وقد قسَّمَ الرَّاغبُ السَّاعاتِ التي هي القيامةُ على ثلاثٍ «السَّاعةُ الكُبرى، وهي بَعْثُ النَّاسِ للمُحاسَبَة... والسَّاعةُ الوُسطى، وهي مَوْتُ أَهْلِ القَرْنِ الواحدِ، وذلك نحو ما رُوِيَ أنَّه رَأى عبدَ الله بن أنيس فقال: «إنْ يَطُلْ عُمْرُ هذا الغُلام لم يَمُتْ حتَّى تقومَ السَّاعةُ». فقِيْلَ إنَّه آخرُ مَنْ مَاتَ من الصَّحابةِ. والسَّاعةُ الصُّغرى، وهي مَوْتُ الإنسانِ، فساعةُ كُلِّ إنسانٍ مَوْتُهُ، وهي المُشَارُ إليها بقوله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ (الأنعام ٣١)»[٩٢].

السورة

أُخِذَ هذا المُصْطَلَحُ من الجَذْر (سور)، الذي يدلُّ على أَصْلٍ واحدٍ، قالَ ابنُ فارس: «السِّينُ والواوُ والرَّاءُ أَصْلٌ واحدٌ يدلُّ على عُلُوٍّ وارتفاعٍ، من ذلك سَارَ يَسُورُ، إذا غَضِبَ وثَارَ، وإنَّ لِغَضَبِهِ لَسَوْرَةً. والسُّورُ جَمْعُ سُورة، وهي كُلُّ مَنْزِلَةٍ من البِنَاءِ»(٩٣).

ويبدو أنَّ المعنى المركزيَّ لهذا الجَذْرِ هو العُلُوُّ والارتفاع، وما سِوَاه من المعاني هو من بابِ المَجَازِ، قال الزمخشريُّ: «ومِنَ المَجَازِ: سَارَ الشَّرَابُ في رأسِهِ، وسَاوَرَتْني الهُمُومُ، وله سُوْرَةٌ في المجد: رِفْعَةٌ، وله سُوْرَةٌ عليك: فَضْلٌ ومَنْزِلةٌ، قال:

فَمَا مِنْ فَتًى إلاّ لــــه فَضْلُ سُوْرَةٍ   عليك وإلاّ أنت في اللُّؤْمِ غالِبُه»(٩٤)

أمَّا في الاصطلاحِ الإسلاميِّ فقد تعدَّدَتِ الآراءُ في أصلِ (السُّورة)، التي وَرَدَتْ في لغةِ العَرَبِ، ولكنْ بمعنًى يختلفُ عن المعنى الإسلاميِّ. فمنهم مَنْ أَرْجَعَهَا إلى معنى العُلُوِّ والرِّفعةِ، قال الزَّبيديُّ: «السُّوْرة: الشَّرَفُ والفَضْلُ والرِّفْعَة، قِيْلَ: وبه سُمِّيت سورةُ القُرآن، لإجلاله ورِفْعَتِهِ، وهو قولُ ابنِ الأعرابيِّ»(٩٥).

ومنهم مَنْ جَعَلَها مجازًا بمعنى الفَضْلِ والمنزلةِ، لأنَّها منزلةٌ بعد منزلةٍ، مقطوعةٌ من الأُخرى، فهي قطعةٌ من القرآنِ سبق وُحْدَانُها جَمْعَهَا، كما أنَّ الغُرْفَةَ سابقةٌ للغُرَف. وأنزل الله عزَّ وجلَّ القُرْآنَ على نبيِّه ﷺ شيئًا بعد شيءٍ، وجعله مُفَصَّلاً، وبيَّنَ كُلَّ سُوْرَةٍ بخاتمتها وبادِئتِها، وميَّزَها من التي تليها. أي أنَّها مأخوذةٌ من (أَسْأَرْتُ سُؤْرًا) بمعنى أَفْضَلْتُ فضلاً، أي أنَّها مُشتقَّةٌ من (السُّؤْر)، وهو الباقي من الشَّرابِ في الإناءِ، كأنَّها قطعةٌ من القرآنِ. إلاَّ أنَّها لمَّا كثُرَتْ في الكلامِ وفي القرآنِ تُرِكَ فيها الهَمْزُ، كما تُرِكَ في المَلَك(٩٦).

وقالَ التَّهانويُّ: إنَّ السُّورةَ في الشَّرْعِ «بعضُ قُرآنٍ يشتملُ على آيٍ، ذو فاتحةٍ وخاتمةٍ وأقلُّها ثلاثُ آياتٍ. وقِيْلَ إنَّها الطائفةُ المُتَرْجَمَةُ توقيفًا، أي الطائفةُ من القرآنِ المُسَمَّاةُ باسمٍ خاصٍ بتوقيفٍ من النَّبيِّ ﷺ»(٩٧).

ومن اللُّغويِّينَ مَنْ يَرَى أنَّها مأخوذةٌ من سُوْرِ المدينةِ؛ لإحاطتِها بآياتها واجتماعِها كاجتماعِ البُيُوتِ بالسُّوْرِ، ومنه السِّوارُ لإحاطتِهِ بالسَّاعِدِ. وقِيْلَ لتركيبِ بعضِها على بعضٍ من التَّسَوُّرِ، بمعنى التَّصَاعُدِ والتَّرَكُّبِ، ومنه قولُهُ تعالى: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ (المائدة ٢١)(٩٨).

القرآن

اخْتَلَفَ المُعجميُّونَ في الأصلِ الذي اشْتُقَّ منه لفظُ (القرآن)، فمنهم مَنْ يَرَى أنَّه من الجَذْرِ المَهْمُوزِ لـ (قرى)، بمعنى جَمَعَ، قال ابنُ فارس: «القافُ والرَّاءُ والحَرْفُ المُعتَلُّ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على جَمْعٍ واجتماعٍ، من ذلك القَرْيَةُ، سُمِّيتْ قَرْيَةً لاجتماعِ النَّاسِ فيها. ويقولونَ: قَرَيْتُ المَاءَ في المِقْرَاةِ: جَمَعْته... وإذا هُمِزَ هذا البابُ كان هو والأوَّلُ سواءً، يقولون: ما قَرَأَتْ هذه النَّاقةُ سَلًى، كأنَّه يُرَادُ أنَّها ما حَمَلَت قطُّ... قالوا: ومنه القُرْآنُ، كأنَّه سُمِّيَ بذلك لِجَمْعِهِ ما فيه من الأحكامِ والقِصَصِ وغيرِ ذلك»(٩٩). وقِيْلَ إنَّه مُشْتَقٌّ من الجَذْرِ (قرن)، الذي يَدُلُّ على الجَمْعِ أيضًا، وقد تبنَّى التَّهانويُّ هذا الرَّأْيَ بقوله: «قِيْلَ إنَّه مُشْتَقٌّ من قَرَنْتُ الشَّيءَ بالشَّيءِ، سُمِّيَ به لِقِرانِ السُّوَرِ والآياتِ والحُرُوفِ فيه. وقال الفرَّاءُ: هو مُشْتَقٌّ من القَرائنِ. وعلى كُلِّ تقديرٍ فهو بلا هَمْزَةٍ ونونُهُ أصليَّةٌ»(١٠٠).

وقد خطَّأَ الزَّجّاجُ رَأْيَ مَنْ قال بأصَالةِ النُّونِ، مُشيرًا إلى أنَّ تَرْكَ الهَمْزَةِ فيه من بَابِ التَّخفيفِ ونَقْلِ حَرَكَةِ الهَمْزَةِ إلى السَّاكنِ قبلها(١٠١). وجعَلَ الزَّبيديُّ تخفيفَ هذه

الهَمْزَةِ لُغةً لبعضِ العَرَبِ، قال: «القُرَانُ، كغُراب: مَنْ لم يَهمِزْه، لُغةٌ في القُرآن»[١٠٢]. والرَّأْيُ الرَّاجِحُ هو الأوَّلُ، وعليه سَارَ أغلبُ اللُّغويِّينَ والمُعجميِّينَ، إذْ نَقَلَ ابنُ منظور في الجَذْرِ (قرأ) عن أبي إسحاق النحويِّ أنَّه قال: «يُسَمَّى كلامُ اللهِ تعالى الذي أَنْزَلَهُ على نبيِّهِ ﷺ كِتابًا وقُرآنًا وفُرْقَانًا، ومعنى القُرْآنِ معنى الجَمْعِ، وسُمِّيَ قُرْآنًا لأنَّه يجمعُ السُّوَرَ فَيَضُمُّها. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (القيامة ١٧) أي جَمْعَهُ وقِرَاءَته»[١٠٣]. واختلفَ القائلونَ بأنَّه مهموزٌ في نوعِهِ، فقِيْلَ هو مصدرٌ ل"قَرَأت"، سُمِّي به الكتابُ المقروءُ من بابِ تسميتِهِ بالمصدر[١٠٤]. ويرى الرَّاغبُ أنَّ معنى الجَمْعِ الذي تدلُّ عليه كلمةُ (القراءة) لا يكونُ مُطْلَقًا وإنَّما خاصٌّ بجَمْعِ الحُرُوفِ، قال: «القراءةُ ضَمُّ الحروفِ والكلماتِ بَعْضِها إلى بعضٍ في التَّرتيل، وليسَ يُقالُ ذلك لِكُلِّ جَمْعٍ، لا يُقَال: قَرَأْتُ القَوْمَ إذا جَمَعْتُهم، ويدلُّ على ذلك أنَّه لا يُقَال للحَرْفِ الواحد إذا تُفُوِّه به قراءةٌ. والقُرآنُ في الأصل مَصْدَرٌ نَحْوُ كُفْرَان ورُجْحَان»[١٠٥]. وقيل هو وَصْفٌ على (فُعْلان)، مُشْتَقٌّ من (القُرْء) بمعنى الجَمْعِ[١٠٦].

يبدو أنَّ لفظَ (القرآن) يدلُّ على معنىً أساسيٍّ، هو الجَمْعُ، وإنِ اخْتُلِفَ في جَذْرِهِ، وقدِ ارتبطَ استعمالُهُ بمجيءِ الإسلام، فصارَ عَلَمًا لكتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ، الذي أنزله على رسولِهِ الكريم مُحَمَّدٍ ﷺ. إذْ حَصَلَ تخصيصٌ دلاليٌّ أصبحتْ بموجبِهِ دلالةُ هذا اللَّفظِ مُقْتَصِرَةً على الكتابِ «المُنَزَّلِ على الرَّسُولِ، المكتوبِ في المَصَاحِفِ، المنقولِ عنه نقلاً مُتَوَاترًا بلا شُبهةٍ، والقرآنُ عند أهلِ الحقِّ هو العِلْمُ اللّدُنِّي الإجمالي الجامعُ للحقائقِ كلِّها»[١٠٧]. وقال ابنُ عبَّاس في تفسيرِ قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ عَلَينا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ فإذا قَرَأْنَاهُ فاتَّبِعْ قُرْآنَه﴾ (القيامة ١٧-١٨): «إذا جَمَعْنَاهُ وأَثْبَتْنَاهُ في صَدْرِكَ فاعْمَلْ به، وقد خُصَّ بالكتابِ المُنَزَّلِ على مُحَمَّدٍ ﷺ فَصَارَ له كالعَلَم، كما أنَّ التَّوْرَاةَ لِمَا أُنْزِلَ على موسى، والإنجيلَ على عيسى صلَّى اللهُ عليهما وسلَّمَ»[١٠٨].

القارعة

أُخِذَ هذا المُصْطَلَحُ من الجَذْرِ (قرع)، الذي يدلُّ على الضَّرْب، قالَ ابنُ فارس: «القافُ والرَّاءُ والعينُ مُعظَمُ البابِ ضَرْبُ الشَّيءِ، يُقالُ: قَرَعْتُ الشَّيءَ أَقْرَعُه: ضَرَبْته. ومُقَارَعَةُ الأبطالِ: قَرْعُ بعضِهم بعضًا»(١٠٩).

وقد اسْتُعْمِلَ لفظُ (القَارِعَة) في كلامِ العَرَبِ قبلَ مجيءِ الإسلام، استعمالاً مجازيًّا، فسُمِّيتِ الشَّديدةُ من شَدَائدِ الدَّهْرِ قَارِعَةً؛لأنَّها تَقْرَعُ النَّاسَ، أي تَضْرِبُهم بشدَّتها. وهي واردةٌ بهذا المعنى في الشِّعْرِ العربيِّ، قالَ ابنُ منظور: «القَارِعَةُ من شَدائدِ الدَّهْرِ، وهي الدَّاهِيَةُ، قال رُؤْبَةُ: وخَافَ صَدْعَ القَارِعَاتِ الكُدَّهِ. قال يعقوبُ: القَارِعَةُ هُنَا كُلُّ هَنَةٍ شديدةِ القَرْعِ»(١١٠).

ثُمَّ صارَ هذا اللَّفظُ مُصْطَلَحًا قرآنيًّا يشيرُ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ؛ لأنَّها تَضْرِبُ وتُصيبُ النَّاسَ بإقراعِها، فأَصْبَحَتْ عَلَمًا على هذا اليوم.قال تعالى: ﴿**القَارِعَةُ ما القَارِعَةُ**﴾ (القارعة ١و٢) و﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ وعادٌ بالقَارِعَةِ**﴾ (الحاقة ٤) ووَرَدَ هذا اللَّفظُ اسمًا لِسَرِيَّةِ النبيِّ ﷺ، في قولِه تعالى:﴿**ولا يَزَالُ الذينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا كَفَرُوا قَارِعَةٌ**﴾ (الرعد ٢١). وقد حَصَلَ هذا الانتقالُ المجازيُّ لِلَفظِ (القَارِعَة) في الحديثِ النبويِّ الشَّريفِ، إذ سُمِّيَتْ آياتٌ من القرآنِ الكريم بالقَوَارِعِ، قَالَ الزَّمخشريُّ: «ومِنَ المَجَازِ:أَصَابَتْهُ قارِعَةٌ من قَوَارِعِ الدَّهْرِ. وتقولُ: فُلانٌ يَخُوضُ الوقائعَ ويروضُ القَوَارِعَ. وفي الحديثِ: «شَيَّبَتْنِي قَوَارعُ القرآنِ»»(١١١). وذَكَرَ ذلك ابنُ الأثير بقوله: «ومنه الحديثُ «في ذِكْرِ قَوَارِعِ القُرآن» وهي الآياتُ التي مَنْ قَرَأَها أَمِنَ شَرَّ الشَّيطان، كآيةِ الكُرسيِّ ونحوِها، كأنَّها تَدْهَاه وتُهْلِكُه»(١١٢). وقد يكونُ «قَرَعَ» بمعنى سكَّنَ وصَرَفَ، نقلَ ابنُ منظورٍ عن الفارسيِّ أنَّ «القَوَارِعَ» الواردةَ في الحديثِ حَمَلَتْ هذا المعنى، قال: «قَرَعَ الشَّيءَ قَرْعًا: سَكَّنَه، وقَرَعَهُ: صَرَفَه. وقَوَارِعُ القرآنِ منه: الآياتُ التي يَقْرَؤها

العميد مجلة فصلية محكمة

الإنسانُ إذا فَزِعَ من الجنِّ والإنْسِ فَيَأْمَنُ، مثل آيةِ الكُرسيِّ وآياتِ آخرِ سورةِ البقرةِ وياسين؛ لأنَّها تَصْرِفُ الفَزَعَ عَمَّنْ قَرَأها، كأنَّها تَقْرَعُ الشَّيطانَ»(١١٣).

الكافر

أُخِذَ هذا المُصْطَلَحُ من الجَذْرِ (كفر)، الذي يدلُّ على معنى التَّغطيةِ، قالَ ابنُ فارس: «الكافُ والفاءُ والرَّاءُ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على معنًى واحدٍ، وهو السَّتْرُ والتَّغْطيةُ. يُقال لِمَنْ غطَّى دِرْعَه بِثَوْبٍ: قد كَفَرَ دِرْعَه»(١١٤).

وقد اسْتُعْمِلَ لفظُ (الكَافِر) في كلامِ العَرَبِ بدلالتِهِ الحقيقيَّةِ، ولم يقترنِ استعمالُهُ بمجيءِ الإسلام، وهو يُطلق على مدلولاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، كُلّها تشيرُ إلى معنى التَّغطيةِ، فسُمِّيَ مَغيبُ الشَّمسِ كَافِرًا؛ لأنَّه المَكانُ الذي تُغَطَّى فيه الشَّمسُ، وسُمِّيَ البَحْرُ والنَّهْرُ العظيمُ كَافِرًا؛ لأنَّهما يُغَطِّيَانِ ما بداخلِهِما. وسُمِّيَ اللَّيْلُ كَافِرًا؛ لأنَّه يَسْتُرُ بظُلْمتِهِ كُلَّ شيءٍ، وسُمِّيَ الثَّوْبُ الذي يُلْبَسُ فَوْقَ الدُّروعِ كَافِرًا؛ لأنَّه يُغطّيها ويسترُها(١١٥). ومن ذلك أيضًا (الكَفَر) بالتَّحريك، قالَ الزَّبيديُّ: «الكَفَر: وعَاءُ طَلْعِ النَّخْلِ وقِشْرُهُ الأعلى»(١١٦). سُمِّيَ بذلك لأنَّه يُغَطِّي الطَّلْعَ. وما زال هذا اللَّفظُ يُسْتَعْمَلُ في لُغتِنا المُعاصرةِ، ويُظَنُّ أنَّه غيرُ عربيٍّ، والحقيقةُ أنَّه عربيٌّ يُطلَقُ على كلِّ ما حَوَى بداخلِهِ شيئًا يسترُهُ ويغطّيه.

ووَرَدَ لفظُ (الكَافِر) في القرآنِ الكريم بمعنَيين، أحدهما مُسْتَعْمَلٌ في كلامِ العَرَبِ، وهو دلالتُهُ على المُزارِعِ، قَالَ ابنُ منظور: «الكَافِر: الزَّرَّاعُ لِسَتْرِهِ البُذُورَ بالتُّرَابِ. والكُفَّارُ: الزُّرَّاعُ. وتقولُ العَرَبُ للزَّرَّاع: كَافِرٌ؛ لأنَّه يَكْفُرُ البَذْرَ المَبْذُورَ بتُرَابِ الأرضِ المُثَارَةِ إذا أَمَرَّ عليها مَالِقَه، ومنه قولُهُ تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ (الحديد ٢٠)»(١١٧).

أمَّا الآخَرُ فهو معنًى قرآنيٌّ لم يَرِدْ في كلامِ العَرَبِ، التُمِسَ فيه المعنى المركزيُّ لهذا الجذر، فسُمِّيَ الجاحِدُ باللهِ تعالى أو برسولِهِ الأكرم أو بنِعَمِه كَافِرًا، وقد يكونُ اسمَ فاعِلٍ بمعنى مفعولٍ، قَالَ ابنُ دُريد: «الكُفْرُ: ضِدُّ الإسلام، كَفَرَ يَكْفرُ كُفْرًا وكُفْرَانًا، وهو أحدُ ما جَاءَ مِنَ المَصَادِرِ على فُعْلان، نحو غُفْرَانَ وخُسْرَان، وأصْلُ الكُفْرِ التَّغطيةُ على الشَّيءِ والسَّتْر له، فكأنَّ الكَافِرَ مُغَطًّى على قَلْبِه. وأحسبُ أنَّ لفظَه لفظُ فاعلٍ في معنى مفعولٍ. وكَفَرَ فلانٌ النِّعمةَ، إذا لم يَشْكُرْهَا»[١١٨]. وقال الجوهريُّ نقلاً عن ابن السّكّيت: «سُمِّيَ الكَافِرُ؛لأنَّه يَسْتُرُ نِعَمَ اللهِ عليه»[١١٩]. وقد فَرَّقَ الرَّاغبُ بين (الكُفْر) و(الكُفْران) و(الكُفُور)، بقوله: «كُفْرُ النِّعْمَةِ وكُفْرَانُها:سَتْرُها بتَرْكِ أداءِ شُكرِها، قال تعالى: ﴿فلا كُفْرَانَ لِسَعْيِه﴾ (الأنبياء ٩٤) وأعظمُ الكُفْرِ جُحُودُ الوَحدانيَّةِ أو الشَّريعة أو النُّبُوَّة، والكُفْرَانُ في جُحُودِ النِّعْمَةِ أكثرُ استعمالاً، والكُفْرُ في الدِّينِ أكثرُ والكُفُورُ فيهما جميعًا»[١٢٠].

فالكافِرُ في الاصطلاح الإسلاميِّ اكتسبَ دلالةً جديدةً بابُها التَّوسُّعُ الدّلاليُّ، وشَاعَ استعمالُهُ المجازيُّ وتُنُوسِيَت دلالتُهُ الحقيقيَّةُ، حتَّى اقتربتْ من الحقيقةِ؛ فإذا وَرَدَ في عبارةٍ انصرفَ الذِّهنُ إلى معناه القرآنيِّ.

الإلحاد

أُخِذَ هذا المُصْطَلَحُ من الجَذْرِ (لحد)، الذي تدلُّ ألفاظُهُ على المَيْلِ ومُجَانَبَةِ الاستقامةِ.ومن ذلك (اللَّحْد) سُمِّيَ بذلك؛لأنَّه مائلٌ في أَحدِ جَانِبَي الجَدَث. والفِعْلُ رُوي بالتجرُّدِ والزِّيادَة، يُقال:لَحَدْتُ الميِّتَ وأَلْحَدْتُهُ[١٢١].

فالمعنى الحقيقيُّ الذي تحملُهُ مُشتقَّاتُ هذا الجَذْرِ هو المَيْلُ على نحوٍ عَامٍّ، وقد وَرَدَ هذا المعنى في الاستعمالِ القرآنيِّ، قالَ الرَّاغبُ: «لَحَدَ بِلِسَانِهِ إلى كذا: مَالَ، قال

تعالى: ﴿لِسَانُ الَّذِي يَلْحَدُونَ إليه﴾ (النحل ١٠٣) من لَحَدَ، وقُرِئ «يُلْحِدُونَ» من أَلْحَدَ»[١٢٢]. أمَّا (الإلْحاد)؛ فقد وَرَدَ في السِّيَاق القرآنيِّ بمعنًى مجازيٍّ، قال الزَّمخشريُّ: «ومنَ المَجازِ: لَحَدَ السَّهْمُ عَنِ الهَدَفِ وألْحَدَ. وأَلْحَدَ في دِيْنِ الله. ولَحَدَ عن القَصْدِ: عَدَلَ عنه. وأَلْحَدَ في الحَرَمِ. والْتَحَدَ إليه: الْتَجأَ»[١٢٣].

إذْ حَصَلَ في لفظِ (الإلحاد) تضييقٌ دلاليٌّ، فأضحى مصدرًا يدلُّ على إنكارِ الخالقِ عزَّ وجلَّ، وعَدَمِ الإيمانِ بوجودِهِ، والمَيْلِ عن الإقرارِ بأنَّه تعالى خالقُ هذا الكَوْنِ، وهو «ضَرْبَانِ: إلْحَادٌ إلى الشِّركِ باللهِ، وإلْحَادٌ إلى الشِّرْكِ بالأسبابِ، فالأوَّلُ يُنافي الإيمانَ ويُبْطِلُهُ، والثَّاني يُوْهِنُ عُرَاهُ ويُبْطِلُهُ، ومن هذا قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الحج ٢٥) وقوله: ﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ﴾ (الاعراف ١٨٠)»[١٢٤].

... الخاتمة ...

أَرَدْنَا في هذا البحثِ أنْ نفتحَ بابًا لدراسةِ المُصْطَلَحِ الإسلاميِّ وتحديدِ أُصُولِهِ، وبيانِ ما آلتْ إليه الفُرُوعُ، وتعرُّف أحوالِهِ في الانتقالِ مِنَ المعنى اللُّغويِّ إلى المعنى الشَّرْعِيِّ الاصْطِلاحيِّ، والعَلاقات المَجَازِيَّة التي يخضعُ لها هذا الانتقالُ.ونستطيعُ أنْ نسجِّلَ مجموعةً مِنَ الملحوظاتِ هي:

١. إنَّ المُصْطَلَحَ الإسلاميَّ هو جزءٌ من حَرَكَةٍ اصطلاحيَّةٍ عامَّةٍ شملتِ الميادينَ المعرفيَّةَ كافَّةً، ولا يختلفُ عن غيرِهِ في استثمارِ المَجَازِ والانتقالِ الدّلاليِّ لإكسابِ الألفاظِ معانيَ اصطلاحيَّةً فنيَّةً جديدةً.

٢. كانَ التَّخصيصُ الدّلاليُّ حاضرًا في أغلبِ المُصْطَلَحاتِ الإسلاميَّةِ، إذْ نُقِلَتِ اللَّفْظَةُ من معناها اللُّغويِّ العامِّ إلى معنًى خاصٍّ، كألفاظ: (القَارِعَة) و (الكَافِر) و (والإلحَاد) و(الأَذَان) وغيرها.

٣. المُصْطَلَحُ الإسلاميُّ قِسْمَانِ:أحدُهُما مُرْتَجَلٌ ارتبطَ استعمالُهُ بمجيءِ الإسلام، ولم يكنْ مَعْرُوفًا مِنْ قَبْلُ؛لغيابِ المُمَارَسَةِ التي تستدعي ذلك، ومن أمثلتِهِ (الجِهَاد). والآخرُ مَنْقُولٌ من دلالتِهِ اللُّغويَّةِ العامَّةِ إلى دلالةٍ شرعيَّةٍ خاصَّةٍ، ومن أمثلة ذلك (الكَافِر).

٤. لا تُمَثِّل النَمَاذِجُ التي دُرِسَتْ في هذا البَحْث إلاّ النَّزْرَ اليسيرَ من تلك المُصطلحاتِ، وإنْ هي إلاّ إضاءةٌ يستنيرُ بها مَنْ أَرَادَ التَّوسُّعَ في ذلك، ومُلاحَقَةَ المُصطلحاتِ الإسلاميَّة كافَّة، وبيانَ الوسيلةِ التي انتقلتْ بها إذا كانتْ منقولةً أو مُرْتَجَلةً.

---

١. البيان والتبيين (الجاحظ ٢٥٥هـ): ١/ ١٣٩، تحقيق وشرح: عبد السَّلام مُحمَّد هارون،

مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطَّبعة السَّادسة، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
٢. مفاتيح العلوم (الخوارزمي ٣٨٠ هـ):٢، المطبعة المنيريَّة، مصر، ١٣٤٢هـ.
٣. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (محمد علي التهانوي): ١، تقديم وإشراف ومراجعة: د.رفيق العجم، تحقيق: د.علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، بيروت–لبنان ١٩٩٦م.
٤. المصدر نفسه: الصحيفة نفسها.
٥. ينظر –مثلاً– شرح ابن عقيل: ١/ ١٤و١٥، تحقيق: مُحمَّد محيي الدِّين عبد الحميد، دار التُّراث، الطَّبعة العشرون، القاهرة، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.
٦. لسان العرب (ابن منظور ٧١١ هـ)، (صلح): ٢٤٧٩، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومُحمَّد أحمد حسب الله، وهاشم مُحمَّد الشَّاذليّ، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
٧. التاج: الزَّبيدي ١٢٠٥هـ، صلح: ٦/ ٥٥١، مطبعة الكويت، تحقيق مجموعة من الباحثين.
٨. كلمة مصطلح بين الصواب والخطأ (د.عبد العلي الودغيري)، مجلة اللسان العربي، العدد٤٨، السنة ١٩٩٩م، مكتب تنسيق التعريب – الرباط.
٩. الصاحبي في فِقْهِ اللُّغةِ وسُنَنِ العرب في كلامها (أحمد بن فارس ٣٩٥ هـ): ١٣، تحقيق: السَّيِّد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبيّ، القاهرة، ١٩٧٧م.
١٠. المصدر نفسه:١٤.
١١. المصدر نفسه:١٤.
١٢. التعريفات (القاضي علي الجرجاني): ٤٤و٤٥، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ١٩٨٥.
١٣. الكليات (أبو البقاء الكفوي): ٩٣، ط٢، تحقيق:عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، القاهرة – مصر ١٩٩٣.
١٤. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ١/ ٢١٢.
١٥. المعجم الوسيط:٥٢٠، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، مصر ٢٠٠٤م.
١٦. محيط المحيط (صلح)، بطرس البستاني، مكتبة لبنان ١٩٧٧م.
١٧. المصطلحات العلمية: ٣ وما بعدها، مصطفى الشهابي، القاهرة ١٩٥٥م.
١٨. العربيَّة، لغة العلوم والتقنية (عبد الصبور شاهين): ١١٩، دار الاعتصام، القاهرة، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.
١٩. المصدر نفسه:١١٧و١١٨.
٢٠. المصدر نفسه:١١٨.
٢١. ينظر:مجلة اللسان العربي: مجلد ١٨، ومباحث في علم الدلالة والمصطلح:١٧١و١٧٢.

٢٢. مباحث في علم الدلالة والمصطلح (د.حامد صادق قنيني):١٦٩، الطَّبعة الأُولى، الأردن - عمّان، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

٢٣. الحيوان (الجاحظ ٢٥٥هـ) ١/ ٣٣٠و٣٣١، تحقيق: عبدالسَّلام مُحمَّد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ وأولاده بمصر، الطَّبعة الثَّانية، د.ت.

٢٤. الصاحبي: ٧٨.

٢٥. الأوائل (أبو هلال العسكري):٣٥و٣٦، نشر أسعد طرابزوني الحسيني، مطبعة دار أمل طنجة، المغرب الأقصى، مارس ١٩٦٦م.

٢٦. مجمع اللغة في ثلاثين عاماً (إبراهيم مدكور):٤٣، الهيئة المصرية العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة ١٩٦٤م.

٢٧. ينظر:مباحث في علم الدلالة والمصطلح:٢٦٤.

٢٨. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المجلد الأول، ص ٢٩٦-٢٩٧.

٢٩. ينظر:كشاف اصطلاحات الفنون:مقدمة المحقق VIII.

٣٠. التعريف الاصطلاحي ومصادره، مصطفى عبد الهادي http://www.alukah.net.

٣١. ينظر: إشكالية ترجمة المصطلح الإسلامي: ٩٦و٩٧ مجلة البحوث والدراسات القرانية (السعودية) العدد التاسع.

٣٢. ينظر: في المصطلح الإسلامي (د.إبراهيم السامرائي): ٨، دار الحداثة، الطبعة الأولى، بيروت-لبنان ١٩٩٠م.

٣٣. ينظر: العربية لغة العلوم والتقنية: ٥٩و٦٠.

٣٤. ينظر: مقاييس اللغة (أحمد بن فارس ٣٩٥هـ): «أخر» ١/ ٧٠، تحقيق:عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٣٥. تاج العروس من جواهر القاموس (الزَّبيديّ ١٢٠٥هـ): أخر ١٠/ ٣٢و٣٣.

٣٦. المفردات في غريب القرآن (الراغب الأصفهاني): ١/ ١٦، مكتبة نزار مصطفى الباز.

٣٧. كشاف اصطلاحات الفنون: ٧١.

٣٨. مقاييس اللغة: أذن ١/ ٧٥.

٣٩. المصدر نفسه: أذن ١/ ٧٦.

٤٠. المفردات في غريب القرآن:١/ ١٧.

٤١. كشاف اصطلاحات الفنون: ١٣١.

٤٢. تاج العروس: أذن ٣٤/ ١٦٨.

٤٣. المصدر نفسه: أذن ١/ ١٧١.

٤٤. مقاييس اللغة: أذن ١/ ١٣٣-١٣٥.
٤٥. التعريفات:٢٣٦.
٤٦. ينظر:المفردات في غريب القرآن:١/ ٣٢و٣٣.
٤٧. تهذيب اللغة (الأزهري ٣٧٠هـ): أمن ١٥/ ٥١٤، تحقيق: عبد السَّلام مُحمَّد هارون ورِفَاقه، الدَّار المصريَّة للتَّأليف والتَّرجمة، د.ت.
٤٨. تاج العروس: أذن ٣٤/ ١٨٧.
٤٩. لسان العرب: برزخ ٢٥٦.
٥٠. المفردات في غريب القرآن:١/ ٥٥.
٥١. كشاف اصطلاحات الفنون: ٣٢٢.
٥٢. معجم الأَلفاظِ الفارسيَّةِ المُعَرَّبةِ (السَّيِّد أدّى شير): ١٩، مكتبة لبنان، د.ت.
٥٣. المفردات في غريب القرآن:١/ ٥٥.
٥٤. ينظر:كشاف اصطلاحات الفنون: ٣٢٢.
٥٥. التعريفات:٤٢.
٥٦. مقاييس اللغة: ثوب ١/ ٣٩٣.
٥٧. المفردات في غريب القرآن:١/ ١٠٨.
٥٨. تاج العروس: ثوب ٢/ ١٠٤.
٥٩. المفردات في غريب القرآن:١/ ١٠٨.
٦٠. التعريفات: ٧١، وينظر: كشاف اصطلاحات الفنون: ٥٤٣.
٦١. تاج العروس: ثوب ٢/ ١٠٤.
٦٢. ينظر:المصدر نفسه: الجزء والصحيفة أنفسهما.
٦٣. مقاييس اللغة: جزى ١/ ٤٥٥و٤٥٦.
٦٤. تاج العروس: جزي ٣٧/ ٣٥٣.
٦٥. المفردات في غريب القرآن:١/ ١٢١.
٦٦. ينظر:المصدر نفسه: الجزء والصحيفة أنفسهما.
٦٧. تاج العروس: جزي ٣٧/ ٣٥٣و٣٥٤.
٦٨. كشاف اصطلاحات الفنون: ٥٦١.
٦٩. المفردات في غريب القرآن:١/ ١٢١.
٧٠. مقاييس اللغة: جهد ١/ ٤٨٦و٤٨٧.
٧١. ينظر:المصدر نفسه: جهد ١/ ٤٨٧.

٧٢. التعريفات: ٧٨.
٧٣. كشاف اصطلاحات الفنون: ٥٩٨.
٧٤. المفردات في غريب القرآن:١/ ١٣١و١٣٢.
٧٥. ينظر:المصدر نفسه: ١/ ١٣٢.
٧٦. ينظر:كشاف اصطلاحات الفنون: ٥٩٨.
٧٧. ينظر:مقاييس اللغة: حشر ٢/ ٦٦.
٧٨. المفردات في غريب القرآن:١/ ١٥٧.
٧٩. ينظر:المصدر نفسه: الجزء والصحيفة أنفسهما.
٨٠. كشاف اصطلاحات الفنون: ٦٧٦.
٨١. ينظر:المصدر نفسه:الصحيفة نفسها.
٨٢. تاج العروس: حشر ١١/ ١٩و٢٠.
٨٣. ينظر:مقاييس اللغة: زكى ٣/ ١٧.
٨٤. تاج العروس: زكو ٣٨/ ٢٢٠.
٨٥. المفردات في غريب القرآن:١/ ٢٨٢.
٨٦. ينظر:لسان العرب: زكا ١٨٤٩
٨٧. التعريفات: ١١٤.
٨٨. كشاف اصطلاحات الفنون: ٩٠٧.
٨٩. ينظر:المفردات في غريب القرآن:١/ ٢٨٢.
٩٠. تاج العروس: سوع ٢١/ ٢٤١.
٩١. المصدر نفسه:الجزء والصحيفة أنفسهما.
٩٢. المفردات في غريب القرآن:١/ ٣٢٧و٣٢٨
٩٣. مقاييس اللغة: سور ٣/ ١١٥.
٩٤. أساس البلاغة (الزمخشري ٥٣٨هـ): سور ١/ ٤٨١، تحقيق:محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت – لبنان ١٩٩٨م.
٩٥. تاج العروس: سور ١٢/ ١٠٢.
٩٦. ينظر:تاج العروس: سور ١٢/ ١٠١و١٠٢، وكشاف اصطلاحات الفنون: ٩٨٩.
٩٧. كشاف اصطلاحات الفنون: ٩٨٩.
٩٨. ينظر:المصدر نفسه:الصحيفة نفسها.
٩٩. مقاييس اللغة: قرى ٥/ ٧٨و٧٩.

١٠٠. كشاف اصطلاحات الفنون: ١٣٠٦.
١٠١. ينظر: المصدر نفسه: الصحيفة نفسها.
١٠٢. تاج العروس: قرن ٣٥/ ٥٥٣.
١٠٣. لسان العرب: قرأ ٣٥٦٣.
١٠٤. كشاف اصطلاحات الفنون: ١٣٠٦.
١٠٥. المفردات في غريب القرآن: ٢/ ٥٢٠.
١٠٦. كشاف اصطلاحات الفنون: ١٣٠٦.
١٠٧. التعريفات: ١٧٢.
١٠٨. المفردات في غريب القرآن: ٢/ ٥٢٠.
١٠٩. مقاييس اللغة: قرع ٥/ ٧٢.
١١٠. لسان العرب: قرع ٣٥٧٨.
١١١. أساس البلاغة: قرع ٢/ ٧٠.
١١٢. النهاية في غريب الحديث والأثر (ابن الأثير ٦٠٦هـ): ٤/ ٤٥، تحقيق: محمود محمد الطناحي، المكتبة الاسلامية.
١١٣. لسان العرب: قرع ٣٥٧٩.
١١٤. مقاييس اللغة: كفر ٥/ ١٩١.
١١٥. ينظر: لسان العرب: كفر ٣٨٩٩.
١١٦. تاج العروس: كفر ١٤/ ٥٩.
١١٧. لسان العرب: كفر ٣٨٩٩.
١١٨. جمهرة اللغة (ابن دريد ٣٢١هـ): كفر ٢/ ٧٨٦، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٧م.
١١٩. الصحاح (الجوهري): كفر ٢/ ٨٠٨، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٩٠م.
١٢٠. المفردات في غريب القرآن: ٢/ ٥٥٩.
١٢١. مقاييس اللغة: لحد ٥/ ٢٣٦.
١٢٢. المفردات في غريب القرآن: ٢/ ٥٧٧.
١٢٣. أساس البلاغة: لحد ٢/ ١٦١.
١٢٤. المفردات في غريب القرآن: ٢ / ٥٧٧.